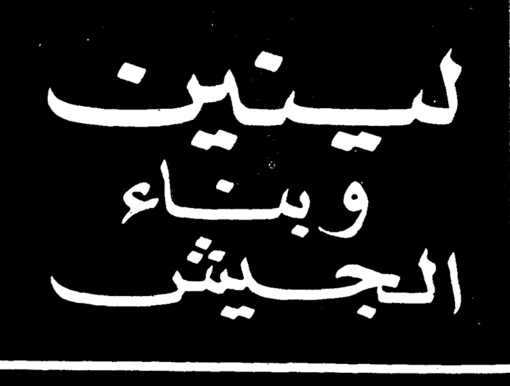


لينين وبناء الجيش



ترجمة
(رفعت سعيد)



لينين وبناء الجيش

كلمة المترجم :

لم يكن قيامى بترجمة هذا الكتيب محض مصادفة ، فهو ليس مجرد كتيب قيم لكاتب عبقرى ، لكنه يحكى قصة فترة صعبة من حياة أمة فترة واجهت فيها العدوان فى وقت كانت تبنى فيه الاشتراكية .

فكيف تمت هذه المواجهة ؟

وما هى الاساليب التى اتبعتها كى تهزم عدوا أكثر قوة وأكثر تقدما وأكثر تسليحا ؟

ومن هذه الاجابات وبرغم الاختلافات العديدة والكبيرة بين ظروفنا الراهنة وظروف هذا البلد ، الا أنه تبقى بين سطور الكتاب بعض التجارب الثمينة والدروس الهامة التى يتعين علينا أن نتأملها بامعان .

رفعت سعيد

مقـــدمة ..

فى ٦ نوفمبر (٢٥ اكتوبر) ١٩١٧ حققت الهبة المسلحة التى خاضها العمال والفلاحون والجنود والبحارة تحت قيـــادة لينين الانتصار للثورة الاشتراكية فى روسيا .

ان نجاح ثورة أكتوبر ، والذى كان بداية لتحرير الانســانية من النظام الاستغلالى ، قد مكن من وضع أفكار الشيوعية العلمية موضع التطبيق وحقق انعطافا حاسما فى مجرى التاريخ . فقد كانت بداية لمرحلة الانتقال الثورى الشامل بالعالم من الرأسمالية الى الاشتراكية .

لكنه ما أن قامت السلطة الســـوفيتية الاولى حتى تأججت مشاعر الحقد الطبقى المفضوح والنوايا العدوانية الســافرة لدى الوحوش الامبريالية .

وهكذا تشكلت القوات السوفيتية لتحمى الدولة الاشتراكية الاولى ولتمكن عملية البناء الاشتراكى من الاستمرار .

والحقيقة أن عملية تأسيس الجيش السوفييتى والبحـــرية السوفيتية وكل تاريخها يرتبط ارتباطا وثيقا باسم لينين .

لقد صاغ لينين تحليـــلا علميا عميقـــا للقوانين الموضوعية الاساسية وللملامح الرئيسية للحرب الحديثة وللشروط الضرورية لاحراز النصر فى معركة الدفاع عن وطن الاشتراكية بقوةالسلاح، ولقد وضع لينين تحليله هذا منطلقا من تفهمه لطبيعة وخصائص المرحلة التاريخية المحددة .

لقــد أعــد لينين برنامجا الثــورة البروليتارية ووضع التعــاليم الخاصة بحماية الوطن الاشتراكى كذلك صـــاغ لينين الاسس النظرية والمبادىء الاساسية لبنـــاء وتدريب القوات المســلحة السوفيتية وأرسى أسس العلم العسكرى السوفييتى .

لقد سلح لينين الحزب بتوضيحه لقوانين التطور الاجتماعى واعلانه أن الامبريالية هى المصدر الوحيد لخطر الحرب فى عصر التحول من الرأسمالية الى الاشتراكية . كـــذلك كشف لينين الطبيعة الطبقية للحروب الامبريالية وفرق بينها كحــرب رجعية وغير عادلة على الاطلاق وبين حروب التحرير القــومية والحروب الاهلية التى تشن من أجل تحقيق مطالب ثورية . ان النظـــرية اللينينية العلمية المسببات التى تؤدى الى نشوب الحــروب فى العصر الراهن وللطبيعة الطبقية لهذه الحروب قد مكنت الاحزاب الشيوعية والعمالية من تحديد استراتيجيتها وتكتيكاتها تجـــاه قضايا الحرب والســـلام والثــورة فى مختلف مــراحل التطور التاريخى .

لينين وقضية الدفاع عن الوطن الاشتراكى

لقد قدم لينين خدمة تاريخية كبرى بوضعه تعاليم الدفاع عن الوطن الاشتراكى . لقد أوضح ضرورة الدفاع عن دولة البروليتاريا الظافرة ضد المعتدين الامبرياليين وحدد كيفية توجيه اقتصاديات البلاد والتوعية السياسية والتكنولوجيا من أجل الدفاع ، وأوضح كيفية تأسيس المنظمات العسكرية للبلاد . كذلك فانه قد حدد دور الحزب فى قيادة وتوجيه عملية تطوير القوات السوفيتية المسلحة .

ان هذه التعاليم التى تشكل المحتوى الاساسى لنظرية لينين عن الثورة الاشتراكية ، تقوم على أساس من التحليل العلمى للعصر الحديث .

وهى تنطلق من الاسس النظرية الماركسية حول قضية الوطن وحول موقف الحزب والطبقة العاملة منها .

ان الدفاع المسلح عن الوطن الاشتراكى ضد المعتدين الامبرياليين هو أحد المواقف الاساسية التى تحددها النظرية الماركسية اللينينية عند دراسة عملية التحويل الثورى للمجتمع . والحقيقة أن ماركس وانجلز ولينين قد أعطوا اهتماما خاصا لهذه المسألة . الا أن كتابات لينين هى التى تتضمن شروحا مستفيضة حولها .

ان ماركس وانجلز مؤسسا النظرية الشيوعية العلمية قد أوضحا الاهمية الكبرى لتنظيم الطبقة العاملة وتدريبها على حمل السلاح بالنسبة لقضية انتصار الثورة الاشتراكية وتدعيم النظام الاجتماعى الجديد . وقد انطلقا من فكرة العمل الثورى العالمى فى الفترة السابقة على الرأسمالية الاحتكارية فوضعا أساس فكرة الدفاع المسلح عن المكتسبات الاشتراكية . أما لينين فقد وضع تحليلا شاملا للامبريالية وتمكن على أساسه من اثراء الافكار التى وضعها ماركس وانجلز بنتائج وآراء جديدة حول الدفاع عن المكتسبات الاشتراكية للطبقة العاملة ولكل الشعب العامل .

وكان لينين هو اول من اطلق شعار « الدفاع عن الوطن الاشتراكى » كمحور للبرنامج العسكرى للبروليتاريا .

وترى الماركسية اللينينية أن الدفاع عن الوطن الاشتراكى هو

حتمية تاريخية فى مسار الصراع من أجـــل تأسيس وتدعيم المجتمع الجديد .

ان الضرورة الموضوعية للدفاع عن مكتسبات الاشتراكية انما تنبع من قوانين التطور الرأسمالى وخاصة فى أعلى وآخر مراحلها .. مرحلة الامبريالية .

وترى الماركسية اللينينية أن الوطن هو محتوى تاريخىوأن الارض واللغة يشكلان عنصرين هامين من العناصر المكونة له . وفى نفس الوقت فان لهذا المحتوى طبيعة اجتماعية يحـددها النظام السياسى والاقتصادى القائم .

يقول لينين « ان الوطن بما يتضمنه من ظواهر ســياسية وثقافية واجتماعية انما يمثل العنصر الاكثر حسما فى الصراع الطبقى للبروليتاريا » .

ان ماركس وانجلز بعد أن فضحا الطبيعة الطفيلية للمجتمـع الرأسمالى أكدا فى البيان الشيوعى أن « العمــال لا وطن لهم » . وتحدد هذه العبارة الوضع الحقيقى للبروليتاريا فى المجتمـــع البرجوازى وتكشف عن مـــدى التنـــاقض الحاد بين مصالح البروليتاريا والبرجوازية فيما يتعلق بقضية الوطن البرجوازى. الامر الذى يتطلب أن تطيح البروليتاريا بالسيطرة البرجوازية وان تقيم سلطتها السياسية الخاصة بهـا ، وان تنتزع البـــلاد من أيدى البرجوازية وأن تقيم وطنها الاشتراكى .

ان الطبقة العاملة والملايين الغفيرة من العـــاملين لا يجدون وطنهم الحقيقى الا بعد أن يصبحوا طبقة حاكمـة تتويجا لثـورة اشتراكية . وفى غمار الثورة فان الطبقة العاملة هى وكل الشعب العامل تنتزع من البرجوازية ملكية وسائل الانتاج وتضع أسس المجتمع الاشتراكى . ويؤدى هذا الى خلق ظروف اجتماعيـــة وسياسية وثقافية جديدة تتمشى مع المصالح الطبقية للعمال .

ولقد توصل مؤسسا النظرية الماركسية خلال عملية تطـوير نظرية الثورة البروليتارية الى نتيجة تقول أن الثورة يمكن كسبها فى وقت واحد فى كل أو معظم البلدان المتمدينة (أى البــلدان الرأسمالية المتقدمة) .

وقال انجلز فى كتابه « مبادىء الشـــيوعية » ان الثـورة الشيوعية لن تكون مجرد ثورة فى بلد واحد ولكنها سوف تنشب

في وقت واحد في كل البلدان المتمدينة أي في بريطانيا وأمريكا؟ وفرنسا والمانيا على الاقل .

لكن ماركس وانجلز أكدافي‌نفس الوقت أن الثورةالبروليتارية ظاهرة غاية في التعقيد لا يمكن تحقيقها خلال مدة قصيرة وانما تتطلب فترة طويلة من الصراع المرير بين البروليتاريا والبرجوازية وهكذا فانه يتعين اعداد العمال كي يخوضوا « غمار حروب أهلية وعالمية قد تستمر خمسة عشر أو عشرين أو خمسين عاما » .

وقد أوضحا أن البروليتاريا يمكنها أن تستولى على السلطة السياسية سواء عن طريق الهبة المسلحة والوسائل السلمية .

وقـد كتب ماركس وانجلز يقـولان أن المعـركة الطبقية للبروليتاريا ضد البرجوازية سوف تصبح شديدة العنف وذلك مادامت الطبقات الاستغلالية تمتلك في أيديهـا الامكانيات المادية ، وتمتلك أيضا قوات مسلحة دائمة أي جيوشا نظامية . ان نمو القوات المسلحة والجيوش النظامية تضاعف من صعوبة وتعقيـد مهمة البروليتاريا التي استولت على السلطة ، وتمثل في الوقت نفسه خطرا حقيقيا على البروليتاريا في المجتمع الرأسمالي .

لقد كتب انجلز في « نقد دهرنج » يقول : « لقد أصبح‌الجيش الهدف الاساسي للدولة ، أصبح في ذاته هدفا ، فالشـعوب لم توجد في نظرهم الا لتمد الجيوش بالجنود والتموين . ان الروح العسكرية قد سيطرت على أوربا ، بل لقد ابتلعتها تماما » .

ان مؤسسا النظرية الشيوعية العلمية قـد أكدا أن الواجب الاساسي للثورة البروليتارية هو تدمير جهاز الدولة البرجـوازية ودعامته الاساسية .. الجيش النظامي .

وبما أن ماركس وانجلز كانا يؤمنان بامكانية انتصارالاشتراكية في كل البلدان الرأسمالية المتقدمة ــ أو في معظمها ــ في وقت واحد ، فانهما لم يتطرقا بطبيعة الحال الى مسألة الدفاع المسلح عن دولة اشتراكية واحدة .

وبالرغم من ذلك فقد كتبا يقـولان أن الطبيعة المعقدة غاية التعقيد للعمل الثوري في ظل عصر ما قبل الرأسمالية الاحتكارية لا تستبعد امكانية نشوب حروب بين البروليتاريا وبين الدول غير البروليتارية ونشوب حروب أهلية ، بل انهما أكدا أن مثل هـذه الحروب لا يمكن تجنبها .

ومن ثم فقد ألحا على أهمية تكوين جيوش بروليتارية .

وهكذا فان مؤسسا النظرية الشيوعية العلمية قد توصلا الى نتائج نظرية هامة حول الحاجة الى تنظيم مسلح للطبقةالعاملة وحول الدفاع المسلح عن المنجزات الاشتراكية وحول امكانية قيام البلدان الاشتراكية بخوض « حروب دفاعية » .

أما فى عصر الامبريالية فقد برزت امكانيات جديدة لانتصار الثورة الاشتراكية ، وتكونت آفاق جديدة لتطورها .

وقد وضع لينين ذلك فى اعتباره عندما أكد أنه فى ظل الظروف التاريخية الجديدة ، تتزايد الحاجة لكفالة الدفاع المسلح عن المنجزات الاشتراكية . وفى هذه الفترة فان المسألة الاكثر الحاحا تصبح مسألة ضمان الدفاع المسلح عن بلداشتراكى واحد.

وقد وضع لينين تحليلا عميقا للطبيعة العدوانية للرأسمالية التى يتميز كل تاريخها بأنه سلسلة متتابعة من أعمال العنف والاغتصاب .

ولقد تميزت فترة تطور الرأسمالية الى مرحلتها النهائية .. الى أعلى مراحلها الامبريالية ، بتزايد تدعيم الروح العسكرية ، بفرض الروح العسكرية على كل فروع الاقتصاد .. لقد تسببت الامبريالية فى نشوب عديد من الحروب وفى مآس وآلام لا حصر لها وذلك من أجل اعادة تقسيم العالم ، الذى كانوا قد قسموه من قبل ، بهدف الحصول على أرباح خيالية وفرض بقاء النظام البرجوازى بقوة السلاح .

ولقد أوضح لينين أن الدفاع المسلح عن الوطن الاشتراكى كان ضرورة موضوعية وتاريخية فرضتها ظروف خارجة عن ارادة الاشتراكية . ذلك أنه وفقا لقانون النمو غير المتكافىء للبلدان الرأسمالية فى عصر الامبريالية فان الاشتراكية تستطيع أن تحقق انتصارا فى بلد رأسمالى واحد بينما تستمر البلدان الرأسمالية الاخرى لبعض الوقت بلدانا برجوازية أو تمر بفترة ما قبل البرجوازية .

وقد وحدت الدول الامبريالية كل ما تملكه من قدرات عسكرية مع قوى الثورة المضادة المحلية فى محاولة لتدمير وطن الاشتراكية الظافرة والاطاحة بما حققته البروليتاريا من منجزات اشتراكية .

وعندما انتصرت ثورة اكتوبر الاشتراكية فى روسيا ، أصبح واجب الدفاع عن المنجزات الاشتراكية واجبا عمليا مباشرا . لقد ووجهت البروليتاريا التى حققت انتصارها فى بلد واحد بالمعتدين الامبرياليين والثورة المضادة فى الداخل وكان حتما عليها أن تؤسس منظمتها العسكرية الخاصة بها والقادرة على الدفاع عن مكتسباتها الاشتراكية وعن مصالح الشعب العامل فى بلدها وعن مصالح الثورة العالمية .

ولقد نجحت البروليتاريا الروسية فى اقامة هذه المنظمة بالفعل .

لقد كتب لينين :

« منذ ٢٥ أكتوبر ١٩١٧ كان علينا أن نتخذ موقف الدفاع ولقد اتخذناه بالفعل ، اتخذنا موقف الدفاع البطولى عن وطن الآباء . ولسوف نبذل أقصى جهدنا للدفاع عن جمهورية روسيا الاشتراكية السوفيتية » .

وهكذا فان تطور الاحداث ، والتناقضات السياسية والاقتصادية الشديدة التعقيد التى عانى منها النظام الرأسمالى قد أدت الى احداث شرخ فى الجبهة الامبريالية العالمية والى تأسيس أول دولة اشتراكية للعمال والفلاحين . وقد أدى هذا بدوره الى نشوء ضرورة تاريخية هى الدفاع المسلح عن المكتسبات الاشتراكية للعمال ضد المعتدين الامبرياليين .

لقد حدد لينين بوضوح الدوافع الاجتماعية السياسية التى تحث على الدفاع عن الوطن الاشتراكى ، موضحا انها تنبع فى الاساس من تضارب المصالح الطبقية للنظامين العالميين ومن الطبيعة العدوانية للامبريالية .

لقد هزت ثورة اكتوبر الاشتراكية اركان الرأسمالية هزا عنيفا ، وكانت ايذانا ببداية عصر التحول من الرأسمالية الى الاشتراكية .

وقد قال لينين انها كانت « بداية لتغيرات هامة تمس مرحلتين من أهم مراحل تاريخ العالم مرحلة البرجوازية ومرحلة الاشتراكية » .

وقد تولد عنها التناقض الرئيسى فى عصرنا الراهن ، وهو

التناقض بين الاشتراكية والرأسمالية كنظامين اجتماعيين متعارضين .

لقد أصبحت الدولة السوفيتية منارا وملاذا لكل الشعوب المقهورة والمستعبدة ولكل البلدان المستعمرة والتابعة . ولقد كان نجاح عملية البناء الاشتراكى فى الاتحاد السوفييتى بمثابة تأكيد مستمر لصحة الافكار الاشتراكية وحافز على انتشارها ، كما أدى أيضا الى تعزيز مكانة ونفوذ الاتحاد السوفييتى على النطاق العالمى .

ولقد كانت الدولة الاشتراكية الاولى - تمشيا مع طبيعة تكوينها الاجتماعى ومع الاهداف والآمال التى تسعى لتحقيقها - دولة محبة للسلام . لكن انتصار الاشتراكية فى بلد واحد حتى ولو كان كبيرا كالاتحاد السوفييتى لم يكن ليؤدى الى أبعاد خطر الحرب بصورة نهائية ذلك أن الاشتراكية لم تكن لديها القوة الكافية لا من الناحية الاقتصادية ولا من الناحية العسكرية كى تمنع الغزو الامبريالى أو أن تمنع نشوب حرب عالمية أخرى .

ويتعين على المرء أن يضع فى اعتباره أن البلد الاشتراكى الوحيد كان يمثل فى ١٩١٩ مجرد ١٦٪ من مساحة العالم و ٩ر٧٪ من مجموع سكانه و ٣٪ (أصبحت ١٠٪ قبيل الحرب العالمية الثانية) من الانتاج الصناعى فى العالم .

لقد كانت الدول الامبريالية تمتلك موارد مادية وبشرية هائلة وجيوشا نظامية ضخمة ففى عام ١٩١٤ عندما كان العالم على مشارف الحرب العالمية الاولى كان مجموع الافراد العاملين بالقوات المسلحة فى جميع الدول سبعة ملايين فقط . أما فى عام ١٩٢١ وبعد توقيع معاهدة فرساى ونزع سلاح البلدان التى هزمت فى الحرب ، وفى ظل السلام الذى ساد بعد انتهاء الحرب فان مجموع جيوش البلدان الرأسمالية قد ارتفع الى ١١ مليون جندى أى مرة ونصف مثل الرقم السابق .

ولقد أكد لينين المغزى العالمى للدفاع عن الدولة الاشتراكية الاولى موضحا امكانية بناء الاشتراكية فى بلد واحد مع الاستمرار فى شن الثورة البروليتارية فى البلدان الاخرى . ولقد كان الدفاع عن الوطن الاشتراكى واجبا أساسيا وملحا خلال الاشهر

الاولى للحكم السوفييتى . وفى هذه الفترة بالذات ، فى هذه المرحلة التاريخية الحاسمة ، أوضح لينين كيفية البدء فى تنظيم عملية الدفاع عن الجمهورية السوفيتية ركيزة وقاعدة الثورة البروليتارية العالمية .

لقد أثبت لينين بالدليل القاطع أن انتصار ثورة أكتوبر سوف يؤدى الى تصاعد الثورة البروليتارية العالمية ، وأن الثورة العالمية سوف تتعزز باستمرار مع تزايد قوة الدولة الاشتراكية الاولى ومع تمكن عدد آخر من الدول من الانفلات من اسار الامبريالية ومن السير فى طريق الاشتراكية . وقد أكد لينين أن ذلك سوف يصعد من حدة الصراع ضد الامبريالية حتى يمكن احراز النصر النهائى للاشتراكية على نطاق العالم كله .

وقد أوضح لينين أن الحفاظ على الدولة السوفيتية ودعمها ، وان انجاح عملية البناء الاشتراكى فى الاتحاد السوفييتى هما واجبان تاريخيان لهما مغزى عالمى ؛ ذلك أن قيام الشعب السوفيتى بانجاز هذين الواجبين يعنى وفاءه بواجبه الأممى تجاه عمال العالم . وفى نفس الوقت فقد أكد لينين أن عمال العالم أجمع يتطلعون الى الاتحاد السوفيتى كنموذج للمجتمع الجديد الذى ينشدونه وأنهم سوف يقدمون له كل ما يستطيعون من عون .

ولم يمل لينين مطلقا — وهو الوطنى والاممى العظيم — من تكرار أن العمال الذين يدافعون عن وطنهم الاشتراكى ضد الامبريالية انما يخدمون فى نفس الوقتمصالح الاشتراكية العالمية وانهم لا ينطلقون باى حال من الأحوال من الرغبة فى اقامة دولة كبرى متسلطة . وقد كتب لينين يقول :

« .. اننا نؤكد أن مصالح الاشتراكية ، ومصالح الاشتراكية العالمية أسمى من المصالح القومية ، وأسمى من مصالح الدولة . اننا ندافع عن الوطن الاشتراكى » .

ومرة أخرى يوضح لينين أن « قيامنا بواجب الدفاع عنوطننا الاشتراكى انما يعنى تحقيق مصالح الاشتراكية العالمية » .

ولقد كان الحزب الشيوعى للاتحاد السوفييتى والقوات

المسلحة السوفيتية مخلصين دوما لهذه الوصية التى أكدها القائد العظيم .

وبعد أن برهن لينين على صحة النظرية القائلة بالضرورة التاريخية للدفاع عن منجزات الثورة الاشتراكية ، قدم تخطيطا متقنا لعملية تنظيم الدفاع عن البلاد وحدد المنطلق الدياليكتيكى الذى يرسم وسائل وأشكال الصراع ، واضعا فى الاعتبارالظروف التاريخية المحددة والعلاقات الطبقية القائمة سواء فى هذا البلد بالذات أو على النطاق العالمى .

وفور انتصار ثورة اكتوبر اتخذ الحزب الشيوعى والحكومة السوفيتية خطوات مباشرة للانسحاب من الحرب الامبريالية ومن أجل اقرار السلام . ذلك أن الدولة السوفيتية الوليدة التى شرعت فى بناء المجتمع الجديد كانت فى أشد الحاجة الى اقرار السلام وفوق ذلك فان ذلك الصلح الذى عقد مع ألمانيا كان سبيلا مؤكدا للدفاع عن الوطن الاشتراكى .

والحقيقة أن جهود لينين من أجل وقف الحرب ومن أجل اقرار سلام وطيد ، كانت فى واقع الأمر شكلا من أشكال الدفاع عن الوطن الاشتراكى .

لقد شعر لينين أنه من الممكن بل ومن الضرورى تقديم بعض التنازلات وتوقيع معاهدات مع الدول الامبريالية بهدف حماية البلاد . ومن ناحية أخرى فقد أكد لينين أن الدفاع المسلح عن الاشتراكية هو ضرورة حتمية وتاريخية ذلك انه بدون مثل هذا الدفاع المسلح فان الدولة الاشتراكية لن تستطيع أن تبنى قوة كافية تجابه خطر الهجوم الامبريالى .

ولقد شن لينين صراعا عنيفا ضد « الشيوعيين اليساريين » وضد تروتسكى الذين عارضوا عقد الصلح مع المانيا والذين تبنوا تكتيكات تنادى بما سمى بالحرب الثورية ، والتى كان تطبيقها يلحق الكوارث بالجمهورية السوفيتية فى سبيل « دفع » الثورة العالمية الى الامام . ولقد كتب لينين ان نظرية كهذه تتناقض تماما مع الماركسية ، ذلك أن الماركسية كانت ترفض باستمرار فكرة « دفع » الثورات ، فان هذا الدفع يؤدى الى زيادة حدة العداء الطبقى الامر الذى يهدد الثورات بالخطر . ولقد كانت نصوص المعاهدة المعقودة مع المانيا قاسية بشكل لا يصدق ، الا أنه لم يكن

هنـــاك خيـــار آخـــر . ففى ذلك الوقت كانت الجمهـورية السوفيتية تفتقر الى الجيش الذى يمتلك القوة الكافية لهـزيمة المعتدين الامبرياليين وكان استمرار الحرب لا يعنى سوى تدمير الجمهورية .

ولقد أكد لينين باستمرار أن الحكومة السوفيتية علىاستعداد لان تبذل كل ما فى وسعها كى يستمر السلام لاطول أمد ممكن .

وقد أعلن لينين « اننا نعد العمال والفلاحين بأن نفعل أى شيء يكفل تحقيق السلام » . وقال « لسوف نسعى الى ذلك لكنه اذا ما هاجم الامبرياليون روسيا السوفيتية فان شعبنا المحبللسلام، وكل العمال سوف يهبون حتما كرجل واحد للدفاع عن وطنهم » .

وفيما يتعلق بالدفاع عن الوطن فان لينين قد وقف بحـزم ضد تلك الشعارات المقلقة بالثورية حول الحرب الثورية وصمم على ضرورة القيام باعداد الوطن الاشتراكى اعدادا جـادا وطويل الأمد للدفاع عن نفسه وذلك من خلال تطوير اقتصاديات البـلاد وتنظيم أعمال السكك الحديدية واســتعادة الانضباط الثـورى الحازم .

ومن أجل الدفاع عن الوطن كان من الضرورى تأسيس جيش أحمر قوى من العمال والفلاحين ، جيش قادر على صد أى هجوم امبريالى .

ولا شك فى أن القدرة العسكرية للدولة السوفيتيةوالطاقات الدفاعية لجيشها انما تعتمد فى الدرجة الاولى عـــلى الأوضاع الاقتصادية للبلاد . وقد أدرك لينين أن هذه الاوضاع الاقتصادية تلعب دورا حاسما فى الحرب الحديثة .

ولقد أدى توصل روسيا السوفيتية الى السلام وانسحابها من الحرب الى تمكينها من اعادة تنظيم اقتصاديات البلاد عـــلى أساس من ديكتاتورية البروليتاريا وذلك بتأميم البنوك والصناعات الثقيلة .

لقد أدرك لينين ان القدرات الاقتصادية والعسكرية للبـــلاد تعتمد أولا وقبل كل شيء على تطوير الصناعات الثقيلة تطـويرا شاملا ، والقيام بتعديلات جذرية فى مجال الزراعة . ووضـــع الاساس المتين للاسلوب الاشتراكى فى الانتاج .

وخلال تحديده لوسائل تنظيم الدفاع المسلح عن الوطن أكد

لينين امكانية احراز النصر فى هذه الحرب . موضحا كيف أن الاشتراكية تستطيع أن تتغلب على الرأسمالية فى مختلف المجالات الاقتصادية والعلمية والتكنولوجية والسياسية والمعنوية والعسكرية . وأوضح لينين أيضا أن هذه الحرب المظفرة لابد لها وأن تحاض وفقا للقواعد الاشتراكية والاقتصادية الجديدة .

وأوضح لينين ان انتهاء الحرب لصالح الاشتراكية يعتمد فى الاساس على تفوق الاشتراكية على الرأسمالية فى الجانب السياسى والمعنوى . ذلك أن الجانب المعنوى يوضح درجةالتأهب السياسى ومدى وحدة الشعب والجيش ومدى ولائهم للنظام الاجتماعى القائم وللسياسة التى تنهجها الحكومة وموقفهم من الاهداف التى تنشد الحرب تحقيقها . ان الدور الحاسم الذى يلعبه الجانب السياسى والمعنوى فى مجرى الحرب وفى نتائجها انما يعزى الى الاثر الفعال الذى يمارسه الشعب فى الحرب الحديثة .

وقد أوضح لينين أن القوة الوحيدة القادرة على تعبئة كل مورد من موارد القوة فى البلاد وعلى أن تحفز الجماهير لتخوض نضالا بطوليا وان تنظمها وتقودها حتى النصر .. هذه القوة الوحيدة هى حزب ماركسى ثورى وثيق الارتباط بالشعب وشديد الاخلاص لمبادىء الاممية البروليتارية .

ان تاريخ الدولة السوفيتية قد أكد بما لا يدع مجالا للشك قوة وحيوية أفكار لينين حول الدفاع المسلح عن الوطن الاشتراكى .

لقد خاض الشعب السوفييتى غمار تجارب قاسية . لقد أمضى قرابة ثلث الخمسين عاما التى تمثل عمر الحكومة السوفيتية سواء فى فترات حرب أو فى فترات لاعادة بناء الاقتصاد الذى خربته الحرب .

لقد شن الامبرياليون حربين دمويتين ضد الشعب السوفييتى ـ الحرب الاهلية فى ١٩١٨ ـ ١٩٢٠ والحرب الوطنية العظمى فى ١٩٤١ ـ ١٩٤٥ .

ولقد كانت الحرب الاهلية فى الاتحاد السوفيتى هى الحرب الوطنية الاولى للدفاع عن منجزات ثورة اكتوبر . والشىء المؤكد

هو أن الثورة الاشتراكية لم تكن هى السبب فى اشعال الحرب . ذلك ان الحرب قد فرضت فرضا على الجمهورية السوفيتية الوليدة، فرضتها الطبقات الاستغلالية المخلوعة بمساعدة امبرياليى الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا واليابان وغيرها من البلدان .

ان امبرياليى الدول المتحالفة ضد الاتحاد السوفييتى قد حاولوا الاطاحة بالجمهورية السوفيتية مستندين الى مساعدة الجيش الالمانى . وأسسوا علنا جيشا للتدخل ، وساندوا الثورة المضادة بالداخل بكل الوسائل الممكنة ، وقاموا بالاشراف على عمليات فرق الحرس الابيض . ولقد أكد لينين أن كولشاك ودينيكين — وهما أخطر الأعداء السفاحين للدولة السوفيتية — كانا يستندان أساسا الى المساعدات التى حصلا عليها من دول التحالف . وقال « لو لم تكن هذه المساعدات التى حصلا عليها من دول التحالف (بريطانيا — فرنسا — أمريكا) لانهارت مقاومتهما منذ أمد بعيد ، ذلك ان هذه المساعدات هى التى منحتها بعض القوة » .

وفى هذه الظروف البالغة الصعوبة والخطر ، عندما كانت روسيا السوفيتية أشبه بقلعة محاصرة بحلقة من النيران المشتعلة، وجه الحزب الشيوعى والحكومة السوفيتية نداءهما الى الشعب ليخوض غمار حرب وطنية ، عادلة وثورية .

وطوال ثلاث سنوات كاملة وفى ظل صعوبات بالغة القسوة ونقص شديد فى الموارد ، استطاع الشعب السوفييتى أن يصد التدخل العسكرى العنيف الذى شنته الوحوش الامبريالية وعناصر الثورة المضادة فى الداخل .

وتحت قيادة الحزب وزعيمه العظيم قدم الشعب السوفييتى والجيش السوفييتى بطولات خارقة ، وعبر عن وعى عظيم وايمان عميق بالمبادىء الاشتراكية ويقين لا يحد بانتصارها .

ولقد تمكن لينين بفضل تحليله لعلاقات القوى بين الدولة السوفيتية الفتية وبين الدول الامبريالية خلال مرحلة التدخل الاجنبى المسلح والحرب الاهلية وبفضل تحليله لامكانيات احراز النصر ، تمكن من استخلاص عدة نتائج هامة كانت ضرورية لتفهم طبيعة الدور الحاسم الذى يتعين على الحزب الشيوعى أن يقوم به فى تنظيم عملية الدفاع المسلح عن الوطن .

لقد كان انتصار الشعب السوفييتى نتيجة منطقية ومتوقعة. يقول لينين « لقد واجهنا القوة العسكرية البالغة الضخامةوالتفوق التكنولوجى لدول التحالف الامبريالى بمحاولة التغلب على هـذا التفوق على الرغم من الثمن الفادح الذى كلفتنا اياه هذه المحاولة. لقد خرجنا من هذه الحرب منتصرين لان الحـرب كانت مجـرد استمرار للثورة ، كانت استمرارا للسياسة الشيوعية ، سياسة البروليتاريا ، الطبقة التى تستطيع أن تقود جمـاهير الشعب . لقد انتصرنا لان وطننا كان يعيش فى ظل ديكتاتورية البروليتاريا ولان الدولة السوفيتية الوليدة حظيت بتأييد ومساندةالجماهير العاملة فى العالم أجمع » .

لقد استطاع الحزب الشيوعى تحت قيادة لينين أن ينظم وأن يقود النضال الظافر للشعب السوفييتى ضد القوات المتحالفـة للامبريالية الاجنبية وضد الثورة المضادة بالداخل . ان انتصـار الشعب السوفييتى فى الحرب الاهلية يعنى هزيمة الامبرياليـة العالمية هزيمة سياسية وعسكرية ويعنى أيضا قوة ومناعة الدولة السوفيتية الفتية .

لكن قطاع الطرق الامبرياليين لم يكفوا مطلقا عن مؤامـراتهم التى تستهدف تدمير الدولة الاشتراكية الاولى بقوة السلاح .وقد أكد لينين أكثر من مرة أن الجمهورية السوفيتية قد صدرت عن نفسها المحاولة الاولى للغزو الامبريالى وان علينا أن نتوقعمحاولات أخرى عـديدة ، وان الـدولة السوفيتية ستظل دوما عـلى قيد أنملة من التدخل المسلح ضدها . ولهذا فان لينين وهويحدد مهام بناء الاشتراكية قد أبرز أهمية الحذر الدائم والعمل المستمر على زيادة المقدرة الدفاعية للبلاد .

لقد أوضح لينين دوما خطر المخططات العدوانية الامبريالية ضد الجمهورية السوفيتية موضحا فى نفس الوقت الوضع البالغ الصعوبة الذى يعيشه بلد اشتراكى وحيد تحيطه بلدان رأسمالية معادية . وفى عام ١٩٢٠ قال لينين :

« يتعين علينا أن نتذكر أن العالم الرأســمالى كله مـدجج بالسلاح من قمة رأسه الى أخمص قدمه منتظرا لاية فرصة قـد تسنح ، محاولا ان يتخير افضل الظروف منالناحية الاستراتيجية

وأن يدرس كل امكانية ممكنة للهجوم علينا . ويتعين علينا ألا ننسى ولو للحظة واحدة انهم لا يزالون يملكون الى جانبهم كل القدرات الاقتصادية والعسكرية . واننا لا زلنا ضعافا - على النطاق العالمي - لكننا ننمو بسرعة ونزدادقوة ، اننا ننتزع من أيدىأعدائنا السلاح تلو الآخر . لكن العدو يتربص بالجمهورية السوفيتية الدوائر » .

وبالرغم من هذه الظروف البالغة الصعوبة فقد استطاع الشعب السوفييتي أن يعيد بناء اقتصاده وأن ينفذ خطة لينين لبناء الاشتراكية . لقد استطاعت الصناعة الاشتراكية ، والزراعة الجماعية والثورة الثقافية ،أن تحيل الاتحاد السوفييتي الى بلد ذي صناعة وزراعة متقدمة . وقد مكنه ذلك من أن يبني قواه الدفاعية على نفس المستوى المتقدم .

ثم جاءت الحرب الوطنية العظمى التي خاضها الاتحاد السوفييتي ضد الثنائي الامبريالي المانيا النازية والعسكرية اليابانية فكانت أشد قسوة ومرارة . لقد بنى الامبرياليون آمالهم على أن أعمال القرصنة التي شنوها ضد الاتحاد السوفييتيسوف تعيد الرأسمالية الى البلاد وسوف تقضي على الاستقلال الوطني للشعوب السوفيتية وعلى سيادتها وتمكنهم من ابادة الملايين من أبناء الشعب السوفييتي . كذلك بنى الامبرياليون آمالهم على ضرب الحركة العمالية الثورية في بلادهم وعلى قهر حركة التحرر الوطني الصاعدة في المستعمرات والبلدان التابعة .

ولقد كانت الحربالوطنية العظمى أشد الحروب التيخاضتها روسيا هولا . ولقد عاني الشعب السوفييتي أكثر ما عاني خلال الأشهر الأولى من الحرب عندما اندفع الجيش الهتلري وحلفاؤه مدججا بالسلاح مستندا الى انتصارات عسكرية متتالية طوال عامين كاملين ومستندا الى كل اقتصاديات أوربا تقريبا ، ليشن هجوما مفاجئا على الاتحاد السوفييتي مجبرا القوات السوفيتية على أن تخوض معارك دفاعية غاية في العنف . وعلى أية حال فان هذه الصعاب الجمة قد عجزت عن أن تضعف الروح القتالية للقوات السوفيتية المسلحة أو أن تضعف من تماسك الشعب السوفييتي أو أن تهز ثقته المطلقة في قضيته العادلة . وتحت قيادة

حزب لينين تحولت البلاد جميعا الى معسكر للقتـــال . وخلف خطوط العدو تصاعدت حركة قوية للانصار . واستجابة لنـداء الحزب نهض الشعب السوفييتي ليخوض غمار الحرب الوطنيـة وليشن نضالا بطوليا أفسد كل خطط وحسابات الغزاه النازيين .

ولقد أثبتت الحرب الماضية مرة أخرى صحة السياسةالبعيدة النظر التى أنتهجها الحزب الشيوعى للاتحاد الســوفييتى والتى قامت فى أوقات السلم على أساس الاسراع بعملية التحـــول الاشتراكى . وقد أدى هذا الى تمكين البلاد من مجابهة جحــافل الغزاة النازيين وأن تدحرهم فيما بعد . ان هذا الانتصـــار هو دليل حى على التفوق الساحق للاشتراكية على الرأسمالية وهو برهان لا يدحض على الكفاءة الفائقة للنظام الاشتراكى .

وبعد هزيمة ألمانيا النــازية والعســكرية اليابانيــة ، أحرزت الاشتراكية مزيدا من القوة . فقد خلقت ظروف مواتية لتأسيس الديمقراطيات الشعبية فى عدد من بلدان أوربا وآسيا ، كـذلك أتيحت الظروف أمام الحركات العمالية وحركات التحرر الوطنى لتحقق مزيدا من الانتصـــارات . وقد ازدادت مكانة الاتحـــاد السوفييتى ونفوذه فى الميدان الدولى زيادة ضخمة .

ان المعنى الحقيقى للانتصار الذى أحرزه الشعب السوفييتى والقوات المسلحة السوفيتية هو أن الامبريالية العالمية قد منيت للمرة الثانية بهزيمة عسكرية وسياسية عند محاولتها تدميرالدولة الاشتراكية .

ومرة أخرى يؤكد التاريخ صحة نبوءة لينين القائلة « ان الامة التى تدرك فيها غالبية العمال والفلاحين وتشعر وتحس احساسا فعليا انها تقاتل من أجل حماية سلطتها السوفيتية ، من أجل حكم الشعب العامل ، من أجل قضية سيكفل تحقيق النصر فيهالهؤلاء العمال والفـــلاحين ولاولادهم الحق فى التعليم والحق فى كل ما ينتجه العمل البشرى من ثمار . ان أمة كهذه لا يمـــكن أن تقهر » .

وهكذا تغير ميزان القوى العالمى لصـــالح الاشتراكية . لقـد ظهر الى الوجود نظام اشتراكى عالمى .. وتماما ، كما تنبأ لينين ، فان العالم يشهد الآن نمو القوى الاشتراكية . ان الاشـــتراكية

تصبح الآن أكثر فأكثر عنصرا حاسما فى التطور الاجتماعى . ان النظام الاشتراكى العالمى والقوى المناضلة ضد الامبريالية والمناضلة من أجل اعادة التنظيم الاجتماعى للمجتمع قد أصبحت تمثل الآن العنصر الحاسم فى مجرى التطور التاريخى فى عصرنا الراهن .

وعندما خرج الاتحاد السوفييتى مظفرا من الحرب واصل عملية بناء الشيوعية على أرضه . وبعد أن التأمت جراح الحرب مارس الشعب السوفييتى نضالا بطوليا جماعيا لانجاز الخطط الاقتصادية لفترة ما بعد الحرب محققا نجاحات باهرة فى مجالات الاقتصاد والثقافة والعلوم والتكنولوجيا ، محققا ارتفاعا ملحوظا فى مستوى المعيشة . ان النمو الهائل فى القدرات الاقتصادية والعسكرية والسياسية للاتحاد السوفييتى خلال السنوات الاخيرة قد عزز من نفوذه فى المعترك الدولى .

ان التاريخ يوضح باستمرار أن ميزان القوى العالمية يتجه دوما لصالح الاشتراكية ولصالح الحركات العمالية وحركات التحرر الوطنى .

وعلى الرغم من ذلك فان قضية تنظيم الدفاع المسلح عن الاشتراكية لا تزال كما كانت قبلا مسألة حاسمة . وبينما تزداد الامبريالية ضعفا على ضعف فان طبيعتها العدوانية لا تزال كما هى ولا تزال تمثل خطرا على السلام والديمقراطية والاشتراكية ولا زالت تمثل المصدر الوحيد لخطر الحرب فى عصرنا الراهن .

ولقد شهدت السنوات الاخيرة تصعيدا مستمرا للاعمال العدوانية من قبل الامبريالية . ان تفاقم الازمة العامة للنظام الرأسمالى والتناقضات التى تتفجر بداخله تزيد من سعار الامبريالية فهى تحاول أن تجد لنفسها مخرجا من خلال الاستفزازات والمؤامرات والتدخل العسكرى المباشر .

وهكذا شدد المعتدون الامبرياليون من نشاطهم التخريبى ضد البلدان الاشتراكية وضد الدول التى تنهج طريق التطور غير الرأسمالى .

وتمثل الامبريالية الامريكية ، التى تتخذ صفة رجل البوليس الدولى .. تمثل القوى الرجعية الاساسية فى عصرنا الراهن .

ان الامبرياليين الامريكيين يشنون حربا اجرامية ضد الشعب الفيتنامى ، ولقد ساعدوا وحرضوا على العدوان الاسرائيلى ضد الشعوب العربية فى الشرق الاوسط ، وهم يتدخلون تدخلا فظا فى شئون الكثير من دول أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية ، وهم يسعون لاحياء الروح العسكرية فى المانيا الغربية . انالاحتكارات الامريكية تسعى الى صبغ الاقتصاد بصبغة عسكرية وتنغمس تماما فى عملية الاتجار بالاسلحة ، وهى تعد كى تجر العالم نحو هاوية حرب نووية .

ان الموقف الدولى الراهن يتسم بالتعقيد الشديد والحساسية البالغة . ويتحتم العمل على كبح جماح القوى الرجعية وعلى رأسها الامبريالية الامريكية .

لقد تزايدت احتمالات قيام الامبرياليين بالهجوم على الاتحاد السوفييتي وغيره من البلدان الاشتراكية . وهكذا فان القوات السوفيتية المسلحة تواجه الآن واجبا جديدا أكثر تعقيدا لحماية المنجزات الاشتراكية .

لقد وضع ماركس وانجلز القضايا النظرية الاساسية التى تناقش مسالة الدفاع المسلح عن منجزات الاشتراكية وطبيعة المؤسسة العسكرية التى تقيمها البروليتاريا المنتصرة . لقد اوضحا بالاسانيد العلمية ضرورة تدمير جهاز الدولة البرجوازية وتسريح جيشها وبوليسها وموظفيها باعتبارها أدوات لاستغلال وقهر العمال ، والعمل بعد ذلك على اقامة مؤسسة عسكرية جديدة للبروليتاريا . ولقد أوضحا أن تحرير البروليتاريا واقامة علاقات اجتماعية جديدة ، سوف يؤدى الى قيام مؤسسة عسكرية جديدة أكثر تقدما ، والى تطوير العلم العسكرى على أساس من المزايا التى يتيحها قيام النظام الاشتراكى وتطور المستوى المادى والتكنيكى للمجتمع الاشتراكى كما سيؤدى أيضا الى ارتفاع المستوى السياسى والمعنوى لافراد القوات المسلحة . وقد أوضح انجلز أن قيام المؤسسة العسكرية الجديدة والمنهج الجديد تجاه الحرب هو تعبير عن الجانب العسكرى من عملية خلاص (تحرير) البروليتاريا .

والحقيقة أن ضرورة ازالة جهاز الدولة البرجوازى قد برزت منذ فترة طويلة ، منذ كوميون باريس ١٨٧١ التى عمدت الى

تكوين مؤسستها العسكرية الخاصة بها .. فكونت الحرس الوطنى الذى تولت رئاسته اللجنة المركزية . وقد تكون هذا الحرس من الجماهير الواسعة لبروليتاريا باريس .

وعندما كان ماركس يحلل تجربة كوميون باريس فانه كثيرا ما كان يثنى على المهارة الفائقة التى أبدتها بروليتاريا باريس والبطولة التى حاربت بها أعداءها الطبقيين واستعدادها « لملاقاة الجحيم » فى سبيل أهدافها . وقال ماركس ان الدرس الهام الذى يتعين استخلاصه من تجربة كوميون باريس هو انه يتعين على البروليتاريا الثائرة أن تحطم الجهاز البيروقراطى والعسكرى للبرجوازية ، وأن تكون لنفسها قواتها المسلحة الخاصة بها التى تشن بها هجماتها على قوات الحكومة .

كذلك قدم ماركس وانجلز بعض الافكار الاساسية حول بناء المؤسسة العسكرية للبروليتاريا . وقال انجلز انه اذا ما انتصرت الاشتراكية فى البلدان الرأسمالية الرئيسية فى وقت واحد فانه من الممكن فى هذه الحالة تسريح الجيوش النظامية الدائمةواقامة ميلشيا شعبية بدلا منها . وقال انجلز انه فى المجتمع الشيوعى لن يفكر أحد فى الاحتفاظ بجيوش دائمة :

أ) لانه لن تكون هناك حاجة لاستخدامها فى الحفاظ على النظام الداخلى .

ب) ولان حروب الغزو لا يمكن أن توجد فى ظل المجتمع الشيوعى .

جـ) ولانه لن تكون هناك حاجة للاحتفاظ بجيش دائم لاغراض الدفاع .

وفوق ذلك فقد أوضح ماركس وانجلز أن هذه الجيوش الجديدة يتعين عليها أن تكون ذات تكوين بروليتارى . ولسوف يكون معظم الضباط نابعين من صفوف البروليتاريا وبطبيعةالحال فان ذلك سوف يتطلب بعض الوقت .

وقد أكد ماركس وانجلز أن حماة المكاسب الاشتراكية سوف يظهرون حتما صلابة لا مثيل لها وبطولة جماعية وذلك طالما أنهم سوف يطلب اليهم فقط الاسهام فى حروب تحريرية وعادلة .

وقد أوضحا أيضا أن انتصار البروليتاريا لن يؤدى الىمجرد احداث تغيير كيفى فى المؤسسة العسكرية وانما سيؤدى أيضا الى ظهور أسلوب جديد للحرب . وقال انجلز ان هذا الاسلوب الجديد سوف يقوم على أساس قضايا تحرير البروليتاريا ، والقضاء على الطبقات الاستغلالية واحداث تغييرات جذرية فى التنظيم السياسى والاجتماعى للمجتمع ، والنمو السريع والمطرد للانتاج الاشتراكى . ان العلم العسكرى الجديد سوف يكون نتاجا لنشوء علاقات اجتماعية جديدة . ان النمو المطرد لقوى الانتاج وزيادة عدد السكان سوف يؤدى بطبيعة الحال الى زيادةالقوات المسلحة .

وقد كتب انجلز يقول انه نظرا للتكوين البروليتارى لهذه الجيوش ونظرا لارتفاع مستوى تدريبها ومقدرتها وقوتها ، وقدرتها الفائقة على التعبئة والمناورة ، فان جيوش المستقبل ، جيوش الاشتراكية سوف تكون أكثر تفوقا من جيوشالبرجوازية.

هذه هى أهم المنطلقات النظريةالتى وضعها مؤسساالشيوعية العلمية حول المؤسسة العسكرية للبروليتاريا ، من خلال قيامهما بتحليل تفصيلى لتاريخ الحروب وللفن العسكرى وتعميم خبرات النضال الثورى للبروليتاريا ضد البرجوازية .

ولقد أسهم لينين بدوره اسهاما كبيرا سواء فيما يتعلق بالدراسة النظرية أو حل المشكلات العلمية لاقامة المؤسسة العسكرية لدولة البروليتاريا . ولقد انطلق لينين من المفهوم الماركسى لفترة الامبريالية ، ومن تحليله للحروب التى نشبت فى العصر الحديث تحليلا علميا . ومن دراسته المتأنية للفن العسكرى، ومن استخلاصه لتجارب الصراع المسلح الذى خاضته الطبقة العاملة وخاصة الهبة المسلحة التى نشبت فى موسكو فى ديسمبر ١٩٠٥ ، والهبة المسلحة التى اشتعلت فى بتروجراد فى أكتوبر ١٩١٧ ، ومستفيدا من خبرات الحزب البلشفى فى المجال العسكرى وفى بناء القوى العسكرية السوفيتية .

ولقد تركزت جهود لينين فى هذا الصدد فى فترتين الاولى قبل ثورة أكتوبر والثانية بعدها .

ففى خلال فترة النضال للاطاحة بحكومة الاستغلاليين وجه لينين الجهود الحزبية نحو تأسيس منظمة عسكرية للطبقة العاملة قادرة على الاسهام فى تحقيق هذا الهدف .

وعندما كان لينين يصوغ المبادىء التنظيمية والسياسية والنظرية للحزب الماركسى الروسى اهتم اهتماما بالغا بهذه المسألة .

وفى كتابه « ما العمل ؟ » أعلن لينين أن العمل على نشر الافكار الثورية فى صفوف الجيش والبحرية وتكوين قواعد حزبية للحزب الاشتراكى الديمقراطى فيها يمثل واجبا أساسيا .

وفوق ذلك فان لينين هو الذى وضع مشروع البرنامج الاول للحزب الباشفى حول المسألة العسكرية .

ويحدد هذا البرنامج سياسة الحزب تجاه الجيش القديم معتبرا اياه الاداة الاساسية للدولة البرجوازية ، ويحدد أيضا الواجبات العملية التى يتعين القيام بها من أجل قيام البروليتاريا بتكوين مؤسستها العسكرية ومن أجل كسب العمال والفلاحين المجندين فى صفوف الجيش القديم الى جانب الثورة . وقد دعا هذا البرنامج الى الغاء الجيش النظامى القديم والاكتفاء بالجماهير الشعبية المسلحة . ولقد اتخذت هذه الخطوة ذات المغزى السياسى البالغ الاهمية تمشيا مع تعاليم ماركس وانجلز واتباعا للنصيحة التى قدمها لينين . فهى تدعو الى تسريح الجيش النظامى بشكل عام وبشكل خاص تسريح الجيش القيصرى الذى كان أداة لقهر العمال بواسطة مستغليهم .

وقد أوضح هذا الموقف أيضا صحة الخط الذى انتهجه حزب لينين منذ البداية ، موقف المعارضة الحاسمة للعسكرية وللسباق المحموم نحو التسليح ولحروب الغزو . ومن ناحية أخرى فقد أوضح البرنامج الطريق لتنظيم القوات المسلحة للثورة التى كان يتعين عليها ضمان النصر للعمال والفلاحين وحماية مكتسباتهم . وتحقيقا لهذا الهدف سعى لينين والبلاشفة الى حشد الجنود ، والبحارة الروس ، فى غمار النضال الثورى النشيط .

وقد أشار لينين فى مقاله « القوات المسلحة والثورة » الذى كتبه فى عام ١٩٠٥ الى الاثر الحاسم الذى تلعبه عملية احلال الشعب المسلح محل الجيش النظامى بالنسبة للثورة فى روسيا . لقد كتب لينين قائلا : « دعونا نقتلع هذا الشر من جذوره ، دعونا نطح بهذا الجيش القائم برمته ، لينـدمج الجيش فى صفوف الشعب المسلح ، ليقدم الجنود معلوماتهم العسكرية لافراد الشعب ، ولتختف هذه المعسكرات ولتحل محلها مدارس عسكرية شعبية . وفى هذه الحالة فان أية قوة فى الارض لن تستطيع الاعتداء على روسيا . لن يستطيع أحد الاعتداء على روسيا اذا كان يحمى حريتها شعب مسلح استطاع ان يطيح بالطغمة العسكرية ، شعب استطاع ان يحول جميع الجنود الى مواطنين وجميع المواطنين الى أشخاص قادرين على حمل السلاح .. أى الى جنود » .

وهكذا فان لينين قد حدد الطريق وهو احلال الشعب المسلح محل الجيش النظامى . والحقيقة أن الطريق الى التخلص من جيش البرجوازية لم يكن مجرد تسريحه بعد الثورة ، وانما بتسليح العمال والفلاحين وكسب الجنود والبحارة الى صف الثورة فى غمار عملية النضال الثورى .

وقد أوضح لينين الحاجة الملحة لاقامة جيش ثورى وحدد طريقة تكوينه والواجبات التى ستلقى على عاتقه ، وحدد دوره فى تحقيق الثورة البرجوازية الديمقراطية التى يتعين مواصلتها حتى تتحقق الثورة الاشتراكية .وقد أوضح لينين أيضا أن الجيش الثورى هو التجسيد الفعلى للمؤسسة العسكرية للطبقة العاملة التى تناضل من أجل اقامة ديكتارية البروليتاريا . وقد كتب لينين قائلا « اننا بحاجة الى الجيش الثورى لان القضايا التاريخية العظمى لا يمكنها ان تحل الا **بالقوة** ، وفى الصراع الراهن فان **التنظيم الذى يجسد هذه القوة** هو المؤسسة العسكرية » .

ووفقا للتعريف الذى وضعه لينين « فان القوة العسكرية للشعب الثائر يتعين عليها ان تتكون من ثلاثة مكونات أساسية :

(١) الجموع المسلحة للبروليتاريا والفلاحين .
(٢) فرق طليعية منظمة من ممثلى هاتين الطبقتين .
(٣) بعض قطاعات الجيش التى على استعداد للانضمام الى جانب الشعب .

وسوف تلعب البروليتاريا المسلحة الدور الاساسى فى هذا الجيش وذلك طالما أن « البروليتاريا هى وحدها التى تستطيع أن تخلق نواة صلبة للجيش الثورى ، صلبة سواء من ناحية المبادىء أو من ناحية الانضباط ، صلبة فى تنظيمها وفى بطولتها خلال مجرى الصراع » .

واقد صاغ لينين القضايا المتعلقة بضرورة تكوين القوات المسلحة للبروليتاريا المنتصرة — وبأهدافها وواجباتها فى الدفاع عن المكتسبات الاجتماعية والسياسية التى أحرزها الشعب العامل فى غمار نضاله الثورى . ولقد برهنت أفكار لينين على صحة الافكار الماركسية التى تحدد أن تأسيس الجيش الثورى هو واجب أساسى لحزب الطبقة العاملة . أن الشعب العامل بحاجة الى جيش ثورى ليخوض غمار هبة مسلحة وليكفل امكانية التقدم السلمى للثورة ، وليسحق الثورة المضادة بالداخل وليصد جيوش المتدخلين الاجانب .

وعندما قام لينين باستخلاص الدروس المستفادة من ثورة (١٩٠٥) ركز اهتمامه للاشكال السلمية وغير السلمية للنضال الثورى وللدور القيادى الذى يلعبه الحزب فى النضال المسلح للبروليتاريا . وصاغ لينين فكرته المعروفة والتى تقول انه خلال الحرب الاهلية فان النموذج المطلوب للحزب البروليتارى هو نموذج الحزب المقاتل .

ولقد نجح لينين فى تطوير البرنامج العسكرى للثورة البروليتارية تطويراً خلاقا . وقد طور ايضا التعاليم الماركسية حول الحروب العادلة والحروب غير العادية . وكان لينين أول من وضع تحليلا علميا لحروب عصر الامبريالية واوضح وجهات نظر الاشتراكيين الديمقراطيين الثوريين حول موضوع الحرب . وكان لينين اول مناضل ماركسى يقدم أفكاره حول الحرب الدفاعية عن الوطن الاشتراكى .

ففى ظل الامبريالية يتزايد نفوذ العسكرية تزايدا مطردا ويتزايد السباق المحموم نحو التسلح فالبرجوازيون فى قبضتهم قوى عسكرية هائلة ليجابهوا بها البروليتاريا . وقد لاحظ لينين « أن تسلح البرجوازية لمجابهة البروليتاريا هى واحدة من أهم وأخطر وأعمق حقائق المجتمع الرأسمالى الحديث » .

وعندما كان لينين يفند مواقف انتهازيى الدولية الثانية الذين كانوا يقفون ضد تسليح البروليتاريا ، دافع فى نفس الوقت عن نقاط البرنامج الماركسى حول المسألة العسكرية وأوضح أن تسليح البروليتاريا ضرورى من أجل تطوير الصراع الطبقى ومن أجل خوض غمار الثورة الاشتراكية .

وقد كتب لينين قائلا « يتعين علينا ان نرفع شعار : تسليح البروليتاريا من أجل هزيمة البرجوازية وتجريدها من ممتلكاتها ونزع سلاحها . وهذا هو التاكتيك الوحيد الذى يمكن أن تتبناه طبقة ثورية ، التاكتيك الذى ينبع منطقيا ، بل وتمليه طبيعة **التطور الموضوعى** للعسكرية الرأسمالية .

وبعد أن تجرد البروليتاريا البرجوازية من سلاحها ، هنا فقط يمكنها — دون أن تخون رسالتها التاريخية العالمية — أن تلقى بجميع الاسلحة الى سلة المهملات ، ولسوف تفعل البروليتاريا ذلك حتما **ولكن فقط عندما يتحقق هذا الشرط الذى أشرنا اليه وليس قبله بأى حال من الاحوال** » .

واقد كانت تعاليم لينين فيما يتعلق بالتسليح الشامل لجموع الشعب تعاليم غاية فى الاهمية . لقد نادى لينين بتأسيس ميلشيا بروليتارية ذات ضباط منتخبين من صفوفها ، ونادى بالغاء المحاكم العسكرية ، مع العمل فى نفس الوقت على الاهتمام اهتماما خاصا بتدريب البروليتاريا تدريبا عسكريا وباعداد كوادر عسكرية . وقد أكد لينين على أن هذه الواجبات ضرورية بل وحتمية موضحا ان تطور الثورة سوف يجبر البروليتاريا على أن تتبنى هذا البرنامج وليس غيره .

وخلال عملية الاعداد لثورة أكتوبر الاشتراكية وفى غمار الممارسة الفعلية للثورة قدم لينين افكارا خلاقة جديدة حول

الاطاحة بجهاز الدولة البرجوازية واقامة المؤسسة العسكرية للدولة الاشتراكية .

وفى « موضوعات ابريل » تحدث لينين عن السوفيتيات باعتبارها الشكل الذى تتمثل فيه ديكتاتورية البروليتاريا . أن القسمة الاساسية التى تميز السوفيتيات عن الجمهورية الديمقراطية البرجوازية هى أن السوفيتيات تطيح بجهاز القهر الممثل للدولة الاستغلالية « الجيش – البوليس والجهاز الحكومى » وتحل محله سلطة الشعب المسلح .

ووفقا للتحديد الذى صاغه لينين تسعى الثورة الاشتراكية للاطاحة بالجهاز العسكرى البيروقراطى القديم بانتهاج طريقين محددين . **الاول** : تسليح العمال وتشكيل الميليشيا البروليتارية وفرق الحرس الاحمر . **والثانى** : العمل على بث الروح الثورية فى صفوف الجيش والبحرية وكسب الجنود والبحارة الى صف البروليتاريا .

وفى بعض كتاباته مثل « خطابات من بعيد » و « حول الميلشيا البروليتارية » ناقش لينين فكرة تشكيل القوات المسلحة للطبقة العاملة مع تكوين ميليشيا بروليتارية وأوضح أن الفرق الاساسى بين الميلشيا البروليتارية وبين بوليس وجيش البرجوازية .. يتمثل فيما يلى :

(١) أن ميلشيا البروليتاريا منظمة مسلحة للشعب العامل من أجل تحريره تحريرا تاما من قهر الاستغلاليين ومن أجل ضمان نجاح الثورة الاشتراكية .

(٢) انها قوة مسلحة شعبية بالفعل ليس فقط لانها تخدم مصالح العمال وانما لانها ملتصقة أشد الالتصاق بجماهير الشعب وليست منفصلة عنها .

(٣) انها تجمع بين المهام المسلحة ومهام الدولة الاخرى وتحل محل الجيش النظامى والبوليس ، هذه القوات المسلحة التى كانت تتسلط على الجماهير والتى كانت منفصلة عنها اشد الانفصال .

والحرس الاحمر هو الشكل المثالى للميليشيا البروليتارية . وتتكون فرق الحرس الاحمر من اكثر العناصر الممثلة للطبقة

العاملة وعيا ، وتشكل فى كل المراكز الصناعية الهامة . ولقد كان الحرس الاحمر الذى بلغ تعداده ٢٠٠,٠٠٠ فى أكتوبر ١٩١٧. كان القوة الضاربة الاساسية لثورة أكتوبر الاشتراكية .

ولقد كان قيام الحزب بتشكيل فرق الحرس الاحمر كمنظمة مسلحة للبروليتاريا أرساء للاسس التى تم على أساسها تشكيل جيش دولة المستقبل البروليتارية .

لقد بدىء فى تسليح البروليتاريا وفى تشكيل وحدات الحرس الاحمر بينما كان الجيش القديم لا يزال موجودا . وكان على الحزب ان ينجز هذه الواجبات فى وجه مقاومة مسعورة من قبل البرجوازية ومن قبل الاحزاب البرجوازية والبرجوازية الصغيرة .

ولقد أبدى لينين اهتماما بالغا بتأسس منظمات ديمقراطية فى الجيش والبحرية وهو أمر كان يعتبره لينين الخطوة الاولى نحو تحطيم جهاز الدولة البرجوازية . وكان يتعين أن ترتبط هذه الخطوة بالدرجة الاولى بتكوين لجان منتخبة من الجنود والبحارة سواء فى الفرق المحاربة أو فى فرق الامدادات وعلى هذه اللجان أن تسهم بدور نشيط فى سوفيتيات مندوبى العمال والجنود .

لقد وجه لينين ضربة قاضية للبرجوازية ولعملائها فى صفوف حركة الطبقة العاملة الذين كانوا يتهمون الحزب البلشفى بأنه « يضعف » من قوة الجيش . لكن الحزب الشيوعى قد أنجز واجبه الاممى بأن جرد الاعيان والبرجوازية من قواتهم العسكرية ، ودعا الجنود والبحارة الى تنظيم نشاط سياسى وعمل على كسبهم الى صفوف الثورة .

ولقد قام الحزب البلشفى بنشاط واسع فى هذا الصدد . وما لبث الجزء الاكبر من جنود الجيش والبحرية أن اهتم بقضية الثورة وساند البلاشفة مساندة نشيطة . ولقد اوضحت انتخابات الجمعية التأسيسية ذلك بجلاء . ففى شهرى اكتوبر ونوفمبر ١٩١٧ كان نصف الجيش يقف الى جانب البلاشفة . وفى الجبهتين الشمالية والغربية وهما أكثر الجبهات أهمية حصل البلاشفة على أصوات الغالبية العظمى ، حصلوا على أكثر من مليون

صوت مقابل ٤٢٠٫٠٠٠ حصل عليها الاشتراكيون الثوريون . وقد حشد البحارة الثوريون فى أسطول البلطيق (١٢٠٫٠٠٠ تقريبا) كل أصواتهم لصالح البلاشفة . وهكذا هزم المنشفيك والاشتراكيون الثوريون هزيمة ساحقة .

وقد أوضحت هذه الحقيقة الافلاس التام للمنشفيك والاشتراكيين الديمقراطيين قبيل هبة أكتوبر المسلحة ، وأوضحت النفوذ الواسع الذى كان يتمتع به الحزب البلشفى وسط صفوف الجيش والبحرية .

لقد قدم لينين خلال فترة ما قبل ثورة أكتوبر الحل النظرى لكثير من القضايا الهامة التى عالجتها الماركسية حول قضايا الحرب والجيش والحاجة الى بناء منظمة عسكرية جديدة للدولة البروليتارية وأساليب بناء هذه المنظمة .

وهكذا فان لينين قد أعد الحزب لممارسة التطبيق العملى للواجبات المتعلقة بالقوات المسلحة والتى نشأت فى أعقاب انتصار ثورة أكتوبر .

وبعد الثورة ، واصل لينين تطويره للنظرية الماركسية حول المنظمة العسكرية للطبقة العاملة . وفى هذه الفترة ركز لينين جهوده حول القضايا النظرية المتعلقة ببناء وتدريب وتعليم أول جيش لدولة بروليتارية . لقد أتقن لينين أسس العلم العسكرى السوفيتى واشرف على بناء الجيش الاحمر وعلى عملياته ضد أعداء الجمهورية السوفيتية .

وكان لينين وهو يحسم قضايا النظرية العسكرية وقضايا التطبيق ينطلق من الظروف التاريخية المحددة التى نشأت نتيجة لقيام دولة السوفييت ، ومن تفهمه للمبادىء الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التى يتعين بناء الجيش على أساسها ، وتفهمه لتوازنات القوى فى العالم . وقد أشار لينين الى أنه « سوف تحدث سلسلة من التصادمات الرهيبة بين الجمهورية السوفيتية والدول البرجوازية . واذا ما ارادت الطبقة القائدة — البروليتاريا — أن تتولى زمام السلطة فانه يتعين عليها أن تثبت قدرتها على ذلك بواسطة منظمتها العسكرية » .

لقد أوجد لينين الحلول الذكية للقضايا المتعلقة بالاطاحة بالجيش القديم ، وحدد تحديدا علميا الوسائل الواجب اتباعها فى بناء الجيش الاشتراكى الجديد . وقد أوضح لينين - واضعا فى اعتباره الخبرة التاريخية - ان بناء جيش اشتراكى هو عملية معقدة تتوقف أولا وقبل كل شىء على الاطاحة بالجيش القديم وعلى تعليم الجماهير وتطوير وعيها ، ومنحها منطلقا جديدالفهم الخدمة العسكرية .

وقد أوضح لينين فى كتاباته أن العناصر التالية تمثل شروطا حاسمة لبناء ودعم قوى الجيش السوفيتى ، وهذه العناصر هى :

القيادة السياسية للحزب الشيوعى . تغييرات جذرية فى المجالات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية . النمو الفعلى للاهتمامات الاشتراكية للعمال والفلاحين وقدرتهم على المبادرة . استخدام القوى الثورية فى الجيش والبحرية القديمين . التمسك الحازم بالتوعية الاشتراكية فى الجيش الجديد . استعداد الجماهير العاملة للتقدم لحماية المكتسبات الاشتراكية بالسلاح .

وهكذا فان الماركسية اللينينية قد أثبتت أن تأسيس المنظمة العسكرية للبروليتاريا هو نتيجة موضوعية وطبيعية للثورة الاشتراكية وأنه بذلك - وبذلك فقط - يمكن للبروليتاريا متحالفة مع كادحى الفلاحين أن تقيم سلطتها السياسية وتدعمها ، وأن تحقق أصلاحات جذرية فى المجالات الاقتصادية والاجتماعية والسياسة وان تكفل انجاز عملية البناء الناجح للمجتمع الاشتراكى .

ولقد كانت أحدى المنجزات الهامة التى قدمها لينين انه قد حدد بوضوح تام القسمات والملامح المميزة للقوات السوفيتية المسلحة ، موضحا طبيعتها الاجتماعية ورسالتها التاريخية ، ومحددا مصادر قوتها وفعاليتها والفروق الاساسية بينها وبين الجيوش الرأسمالية .

ولقد كانت هذه المنجزات بحق اسهاما جديدا فى النظرية الماركسية حول المنظمة العسكرية للدولة الاشتراكية .

وقد أوضح لينين أن السمة الاساسية التى تميز القوات السوفيتية المسلحة هى أنها نتاج لثورة اكتوبر الاشتراكية وحصن

يحمى الحكومة السوفيتية ، انها تحمى مصالح الجماهير العاملة والمنجزات الاشتراكية . لقد أكد لينين أن المنظم والقائد والمعلم للقوات السوفيتية المسلحة هو الحزب الشيوعى . القائد والمرشد للمجتمع السوفيتى كله .

ان القوات المسلحة فى البلدان الامبريالية تخدم الطبقات الاستغلالية وتعمل كأداة أساسية لفرض سياستها الرجعية الداخلية والخارجية على السواء . ووفقا لما كتبه لينين فان الجيوش البرجوازية هى العون التقليدى للنظام القديم والدعامة الاساسية للنظام البرجوازى وللسيطرة الرأسمالية ، وهى الاداة لاستمرار فرض عبودية وخضوع الشعب العامل لرأس المال . وفى الجيوش الرأسمالية ، نجد أن الضباط الكبار هم أنفسهم من أفراد الطبقات الاستغلالية وهذه الحقيقة توضح سر العداء الطبقى السافر بين الضباط وجماهير الجنود .

وقد أشار لينين المرة تلو الاخرى الى أن خبرة بلدان أوربا الغربية قد أوضحت بما لايدع مجالا للشك الطبيعة الرجعية للجيوش الرأسمالية . وعلى أية حال فان القوات السوفيتية المسلحة قد أعلنت بجلاء انها شىء مختلف تماما سواء فى محتواها الاجتماعى أو فى رسالتها التاريخية وهى تعكس فى بنائها وفى تنظيمها النموذج الاجتماعى للدولة الاشتراكية وتتمسك بالمبادىء التنظيمية للمجتمع الجديد ، وهى تواكب باستمرار التقدم الذى تحرزه الدولة السوفيتية .

لقد كانت الطبقة العاملة ، والحزب الشيوعى ، والسوفيتيات هى المرشد والملهم فى بناء الجيش الاحمر . وقد بدأ ذلك واضحا من تشكيل الهيئات القيادية الجديدة فى الجيش ومن بث روح النظام فى صفوفه ، ومن تشكيل شبكة واسعة من الخلايا القاعدية للحزب فى مختلف فصائل الجيش ومن اعتبار وحدة القيادة اكثر أساليب العمل نجاحا فى ادارة الفرق .

وقد أعرب لينين عن تقديره العميق للجهود الذى بذلها الحزب الشيوعى والطبقة العاملة للعمل على اشراك ممثلى غالبية الفلاحين الفقراء فى تأسيس الجيش الاشتراكى . والحقيقة أن قيام التحالف بين الطبقة العاملة والفلاحين هو الذى مكن من

اقامة الجيش الاحمر كجيش شـــعبى حق يمثـل العمـــال والفلاحين .

ولقد كان الاعتماد المستمر على تطبيق سياسة الطبقةالعاملة فى المجال العسكرى مسألة مهمة فى بناء هذا الجيش الشــعبى الجبار . ولقد تضمنت كتابات لينين وصفا عبقريا لطبيعة القوات السوفيتية المسلحة باعتبارها دعامة الحــكومة الســوفيتية والحارس البطل للمنجزات الاشتراكية العظيمة . وقد تحـدث لينين فى خطاب له القاه فى حفل تخريج الدفعة الاولى من رجال الجيش الاشتراكى فى ١ يناير ١٩١٨ .. تحدث عن الرســالة التاريخية للقوات السوفيتية المسلحة . وحيا طلائع المتطوعين فى الجيش الاشتراكى وعبر عن ثقتــه الكاملة فى أنهم قادرون على تأسيس جيش ثورى حق وقال « لقد تكون هذا الجيش ليحمى منجزات الثورة وليحمى سلطة الشعب ، ليحمى سوفيتات ممثـلى الجنود والعمال والفلاحين ، ليحمى كل هـــذا النظام الجـديد الديمقراطى ، ليحميه ضد هجمات جميع أعداء الشعب الـذين يبذلون أقصى ما يستطيعون من جهد ليدمروا الثورة . »

وقد حدد لينين هؤلاء الاعداء قائلا أنهم رأسماليو جميـــع العالم الذين ينظمون حربا صليبية ضد الثورة الروســية التى تمثل فجر الخلاص لعمال العالم أجمع .

ولقد تحددت الطبيعة الشعبية للقوات السوفيتية المسلحة والمهام التاريخية التى وكلت اليها فى المرسوم الصادر عن مجلس قوميسييرى الشعب والمعنون « حول تنظيم الجيش الاحمرللعمال والفلاحين » والصادر فى ١٥ يناير ١٩١٨ .. وقد شــارك لينين شخصيا فى ادخال تعديلات هامة على مشروع هذا المرســوم ، وقد تضمنت هذه التعديلات تحديدات أكثر دقة ووضوحا حول الطبيعة الاجتماعية لجيش الدولة الاشتراكية وحول الدور الذى يتعين عليه القيام به . وقد أوضحت هذه الوثيقة أن الجيش القديم كان أداة للقهر الطبقى الذى تمارسه البرجوازية ضـــد العمال ، و أنه بانتقال سلطة الدولة الى أيدى العمال والطبقــات الكادحة فانه من الضرورى تشــكيل جيش جـديد ، يكون دعامة للسلطة السوفيتية وعونا للثورة الاشتراكية المرتقبة فى أوربا .

وقد كتب لينين فى سبتمبر ١٩١٨ تحت عنوان « تحية الى الجيش الاحمر الذى استولى على كازان » واصفا الجيش الاحمر بأنه طليعة نضال المستغلين للاطاحة بالاستغلاليين ، ووجه تحية حارة للمعارك البطولية التى تخوضها القوات السوفيتية دفاعا عن سلطة السوفييت .

وقد أشار لينين اكثر من مرة الى أن العمال قد ادركوا بأنفسهم الدور التاريخى لهذا الجيش الجديد . وعرفوا ان الجيش الاحمر يحمى مصالحهم الحيوية . وأن هذا الادراك هو الذى منح السلطة السوفيتية قوتها غير المحدودة .

أن أفكار لينين ومنجزاته النظرية حول الاصل الاجتماعى والمهام التاريخية للقوات السوفيتية المسلحة قد نمت وتطورت فى البرنامج الثانى للحزب ثم تطورت مرة أخرى فى قرارات المؤتمر الثامن للحزب حول المسألة العسكرية .

ان البرنامج الذى أصدره المؤتمر الثامن للحزب قد أوضح انه فى خلال فترة تحلل النظام الامبريالى وتزايد حدة الحرب الاهلية ، فى هذه الفترة لم يكن من الممكن لا الابقاء على الجيش القديم ولا اقامة جيش جديد يكون كما يدعون فوق الطبقات أو يقوم على تمثيل كل طبقات الامة .

وقد أعلن البرنامج « ان الجيش الاحمر كأداة لديكتاتورية البروليتاريا يتعين عليه أن يتخذ صبغة طبقية واضحة أى أنه يتعين أن يتكون اساسا من البروليتاريا ومن العناصر شبه البروليتارية فى صفوف الفلاحين » . وقد أكد المؤتمر الثامن فى قراراته « ان المغزى التاريخى لتشكيل الجيش الاحمر يكمن فى أنه أصبح أداة اشتراكية للدفاع عن البروليتاريا وفقراء الفلاحين وحمايتهم من مطامع أغنياء الفلاحين والبرجوازية الذين يستندون الى الامبريالية الاجنبية » .

ومع انتصار الاشتراكية فى اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية فان الحاجة الى استمرار تدعيم القوات المسلحة وتزايد قدراتها كانت ترجع الى عناصر خارجية فقط ، ذلك ان الطبقات الاستغلالية المحلية كانت قد صفيت تماما وتحققت وحدة لا تتزعزع للمجتمع السوفيتى .

والحقيقة أنه فيما يتعلق بالاوضاع الداخلية فان الاتحاد السوفيتي ليس بحاجة مطلقا الى الجيش ، لكنه طالما بقى المعسكر الامبريالى مصدراً لخطر الحرب ، وطالما أنه لم يتم النزع التام والشامل للسلاح فان الحزب الشيوعى السوفيتى يجد أنه من الضرورى الاحتفاظ بالقوة الدفاعية للدولة السوفيتية وأن يواصل اعداد قواته المسلحة لتصل الى المستوى الذى يكفل لها الحاق هزيمة حاسمة وكاملة بأى قوة تجرؤ على الاعتداء على الاتحاد السوفيتي .

ان القوات المسلحة السوفيتية ستظل دوما الحارس الجبار للحكومة السوفيتية وفى خلال فترة الحرب الاهلية ثم فى خلال الفترات الحالكة للحرب الوطنية العظمى برهن الجيش السوفيتى على أنه بحق نتاج لجماهير العمال والفلاحين والمثقفين الثوريين .

ولقد كانت قيادة الحزب الشيوعى اللينينى مصدرا أساسيا لقوة وفعالية القوات السوفيتية المسلحة وضمانا لان تستمر هذه القوات حارسا يعتمد عليه السلام وأمن كل المعسكر الاشتراكى .

ولقد كان الجيش والبحرية السوفيتية بالتصاقهما الوثيق بالجماهير العريضة للشعب العامل تجسيداً للفكرة الماركسية عن الشعب المسلح . وتتضح الصبغة الشعبية الحقة للقوات السوفيتية المسلحة بجلاء من طبيعة الدور الذى تقوم به فى حماية منجزات الاشتراكية والدفاع عن المصالح الحيوية للشعب العامل . وتتضح ايضا من طبيعة تكوينها وتنظيمها .

وفور انتصار ثورة اكتوبر أعلن لينين أن التسليح الشامل لجماهير الشعب وتسريح الجيش القديم يمثلان معا الواجب الاساسى الذى يجابه الحزب فى المجال العسكرى .

ان وجهة النظر الماركسية حول ضرورة تسليح الشعب وتسريح الجيش النظامى تحمل فى طياتها مغزى طبقيا عميقا . ان فكرة تسليح البروليتاريا ونزع سلاح البرجوازية لاتعنى مطلقا مجرد توزيع السلاح على اى فرد من المواطنين ، فهى قد تعنى تشكيل ميلشيا بروليتارية أو تأسيس جيش نظامى اشتراكى .. أو هما معا . ويتوقف ذلك بطبيعة الحال على الظروف الموضوعية للفترة التاريخية المحددة .

لقد أدرك لينين الارتباط الوثيق بين تسليح الجماهير وبين طبيعة السلطة السوفيتية وفى كثير من كتاباته وصف لينين السوفيتات كشكل جماهيرى للحكم يؤدى الى قيام نموذج من المؤسسة العسكرية يختلف اختلافا تاما عن الجيش القديم وقادر على تملك قوى ضخمة وعلى النضال بكفاءة عالية وذلك بفضل علاقاته الوثيقة بالجماهير .

وعندما واجه لينين مسألة الدعم الشامل للسلطة السوفيتية وجه نداء للطبقة العاملة وللفلاحين الفقراء والجنود والبحارة لكى يحموا منجزات الثورة ، ولكى يسهموا بمبادراتهم الخلاقة فى صياغة أسس تكوين المنظمة العسكرية . لقد كان على الجنود أن يمتزجوا بصفوف العمال تحت قيادة السوفيتات بهدف تحقيق كل ما هو ضرورى لحماية الثورة .

وقد حدد لينين فى عديد من كتاباته وخطبه سلسلة من المنطلقات لعملية التسليح الشامل لشعب . وكم شعر لينين بالسعادة عندما رأى العمال يتحمسون بدافع ذاتى لعملية ممارسة الحكم وتنظيم القوة المسلحة اللازمة للحفاظ على نظام الحكم الجديد . وقد أشار لينين الى أن عملية الاثارة التى شنتها جموع العمال من أجل تأسيس الجيش الاحمر كانت عملية ناجحة تماما .

وبينما كان لينين يعدد مزايا النظام السوفيتى على الديمقراطية البرجوازيه أشار الى أهمية أن التركيب الاجتماعى والسياسى لجيش الدولة البروليتارية يتعين عليه أن يختلف اختلافا تاما عن جيش البرجوازية . لقد مكن قيام النظام السوفيتى من خلق قوات مسلحة من العمال والفلاحين ذات اتصال وثيق بجماهير العمال والكادحين .. اتصال لم يتمتع به جيش من قبل .

ولولا هذا الاتصال الوثيق لأصبح من المستحيل تحقيق أحد الشروط الاساسية لانتصار الاشتراكية وهو تسليح العمال ونزع سلاح البرجوازية .

وقد قام المؤتمر الثامن للحزب بوضع الخطط التفصيلية السياسة المتعلقة بتطوير القوة العسكرية السوفيتية . وقد أكد المؤتمر أن ضرورة توجيه ضربة مباشرة وفورية للاعداء الطبقيين

فى الداخل والخارج تتطلب بشكل حتمى تشكيل قوة بروليتارية مسلحة تتخذ شكل ميليشيا للعمال والفلاحين . وفى اليوم التالى مباشرة لنشوب ثورة أكتوبر كان يتحتم على الدولة السوفيتية أن تقيم جيشا جديدا يتكون من جماعات المتطوعين ثم تبعث ذلك باعلان التعبئة العامة. ونظرا للطبيعة الطبقية وللتركيب الاجتماعى للجيش الاحمر فانه لم يبن على نمط فرق المليشيا وانما اتخذ سواء فى أشكال تكوينه أو تدريبه طابع الجيش النظامى .

وفيما بين ١٩٢٣ و ١٩٣٩ استمرت عملية بناء القوات السوفيتية المسلحة على أساس المزج بين النظامين .. التجنيد الاجبارى فى جيش نظامى والميلشيا المحلية . وفى ١٩٣٩ ونظرا لتزايد خطر الحرب اكتفت القوات السوفيتية المسلحة بنظام واحد هو التجنيد الاجبارى للجيش النظامى ولا يزال هذا النظام مطبقا حتى الان . ويجب أن نضع فى اعتبارنا أن بناء القوات السوفيتية المسلحة كان يعتمد باستمرار على الخدمة العسكرية العامة وعلى تطبيق مبدأ الخدمة العسكرية الاجبارية بالنسبة لجميع المواطنين .

وهكذا فان القوات السوفيتية المسلحة التى تكونت من بين صفوف الطبقة العاملة وفقراء الفلاحين وتحت قيادة الحزب الشيوعى بزعامة لينين. هذه القوات المسلحة قد أصبحت بالفعل جيشا شعبيا . فهى تجسد على أساس طبقى الفكرة اللينينية حول التسليح الشامل للجماهير .

وتتميز الفترة الراهنة بتزايد حدة الصراع الطبقى بين القوى الدولية الرامية لتحقيق التقدم الاجتماعى وبين الرجعية الامبريالية. وتمثل الحقيقة التالية أحد القوانين الموضوعية فى عصرنا الراهن : كلما أحرزت الاشتراكية مزيداً من النجاحات ، وكلما دعمت مراكزها ، كلما أصبحت قوى الرجعية الأمبريالية أشد ضراوة فى هجومها على مجموعة الامم الاشتراكية وعلى مكونات المجتمع الاشتراكى .

فلن تكون الامبريالية .. امبريالية حقا اذا تركت الارض تنسحب من تحت أقدامها دون مقاومة الى الحد الذى يحدث تغييرا أساسيا فى التوازن العالمى بين القوى الطبقية .. لصالح

الاشتراكية . ان الامبريالية تبذل أقصى ما تستطيع من جهد لتدمر مواقع الاشتراكية ولتقلل من نفوذها . ان السياسة التى تنهجها الدول الامبريالية وتصرفاتها العماية توضح كيف أن الامبرياليين لم يكفوا عن محاولاتهم لاستخدام القوة لايقاف التقدم الاجتماعى للجنس البشرى . وهم يلجأون الى المغامرات العسكرية والى شن هجمات ايديولوجية وسياسية ضارية ضد المعسكر الاشتراكى وضد الحركات الثورية .

ان الرجعيين الامبرياليين يعتمدون على الثورات المضادة فى الداخل وعلى العناصر الشوفينية والاصلاحية واليسارية المتطرفة، أنهم يحاولون أن يفسدوا الوعى الطبقى لدى جماهير العمال وأن يبثوا الفرقة فى صفوفهم وأن يقضوا على روح التضامن والوحدة بين القوى الثورية المعادية للامبريالية .

وهكذا فان واجب الدفاع عن المكتسبات الاشتراكية يظل حتى الان احدى المشكلات البالغة الأهمية فى التطور العالمى وفى كل النشاطات السياسية والايديولوجية والنظرية للاحزاب الشيوعية والعمالية .

وخلال النضال لتحقيق هذا الواجب فان الاحزاب الشيوعية والعمالية تستند دوما الى تعاليم لينين حول الدفاع عن الثورة الاشتراكية وعن المكتسبات الاشتراكية . فان هذه التعاليم تمثل الاسس النظرية لسياسة واستراتيجية وتكتيك الاحزاب الشقيقة فى نضالها من أجل احراز مزيد من التقدم للاشتراكية وكفالة أمن شعوب البلدان الاشتراكية .

يقول لينين ان الثورة لاتصبح ذات معنى الا عندما تعرف كيف تحمى نفسها ، كيف تحمى نفسها سياسيا واقتصاديا وايديولوجيا وتحمى نفسها باستخدام القوة المسلحة ، تحمى نفسها من الثورة المضادة بالداخل ومن الامبريالية العالمية ، فبدون مساندة الامبريالية العالمية فان الثورة المضادة بالداخل لاتستطيع الاستمرار بأى حال من الاحوال .

وقد حذر لينين دائما من التهاون مع الثورة المضادة ، الاداة والدعامة الاجتماعية للامترياليه العالمية . وقال لينين أن عناصر

الثورة المضادة « هم أسوأ أعداء الشعب الباسل فهم أعداء مهرة شرسون مدربون ينتظرون بصبر ودأب أية فرصة تسنح لينسجوا مؤامراتهم .. ويجب ألا تتسامح مطلقا مع هؤلاء الاعداء الشرسين للشعب العامل » .

وعندما كان لينين يعدد جهود الحكومة السوفيتية ضد الثورة المضادة المحلية وضد التدخل الاجنبى فى فترة الحرب الاهلية ، ركز بشكل ملحوظ على الدور الحاسم الذى لعبه الحزب الشيوعى فى تنظيم الدفاع الوطنى وفى حماية المكتسبات الاشتراكية . كما أنه قام فى نفس الوقت بشرح الجوانب المختلفة لعملية الدفاع المسلح عن الدولة الاشتراكية .

وقد كتب لينين « ان الاشتراكية تعارض استخدام العنف ضد البشر بشكل عام » لكنه مضى قائلا : أن الامر يصبح سوقية واضحة وتخليا عن الثورة اذا تصورنا أن الاشتراكية تعارض العنف الثورى . لقد أكد لينين أنه يتعين على المرء أن يفرق بين العنف الثورى والعنف الرجعى المضاد للثورة . ان العنف الثورى ضد الاستغلاليين هو الرد الطبيعى على ما يستخدمونه وما تستخدمه الثورة المضادة من عنف . وقد علمنا لينين أنه فى غيبة العنف الثورى ضد الاعداء المفضوحين للعمال والفلاحين فانه يستحيل علينا سحق المقاومة التى يبديها الاستغلاليون ويستحيل الدفاع عن الاشتراكية والثورة .

وقد طور لينين تعاليم ماركس وانجلز حول دولة الشعب العامل ومن خلال التطوير ومن خبرة الاتحاد السوفيتى وغيره من البلدان الاشتراكية ثبت أن الواجب الاساسى للدولة الاشتراكية هو مواصلة عملية البناء للمجتمع الجديد . واذا ما لجأت الدولة الاشتراكية الى العنف دفاعا عن المكتسبات الاشتراكية فهى تلجأ اليه مضطرة تحت ضغط قوى الثورة المضادة .

وقد القى لينين عبء القيام بهذا الواجب الهام ، واجب الدفاع عن المنجزات الاشتراكية على عاتق المؤسسة العسكرية للطبقة العاملة .. ذلك الجيش الجديد ذو النمط الاشتراكى . ولقد قام الحزب الشيوعى السوفيتى بتكوين هذه المؤسسة العسكرية .. القوات المسلحة السوفيتية التى أدت بشرف

رسالتها التاريخية ولا تزال تواصل اداء هذه الرسالة . ولعل خير دليل على ذلك هو ما أظهرته من وطنية فائقة وروحا أممية خلال الحرب العالمية الثانية .

ان أفكار لينين حول الدفاع عن الاشتراكية والمنجزات الثورية للشعب ذات مغزى عالمى بالغ الاهمية . وقد أثبتت التجربة العملية أن الانحراف عن تعاليم لينين سوف يعرض المكتسبات الثورية للشعب لخطر جسيم .

وخير مثال على ذلك هو الاوضاع فى تشيكوسلوفاكيا حيث استطاعت الثورة المضادة أن تشن هجماتها ضد النظام الاشتراكى .

وباستطاعتنا أن نتذكر أيضا كيف شن أعداء الثورة فى المجر بمساندة الرجعية الامبريالية هجوما شديدا ضد الاشتراكية منذ ما يقرب من خمسة عشر عاما.لكن الشيوعيين المجريين مستندين الى تأيد الطبقة العاملة وغالبية الشعب والى الوحدة الاخوية مع البلدان الاشتراكية الاخرى استطاعوا صد هجمات الرجعيين والحفاظ على الاشتراكية .

وتكشف لنا حقائق الاوضاع فى تشيكوسلوفاكيا كيف أن قوى الرجعيين المعادين للاشتراكية والتى تحاول أن تتستر خلف شعارات نشر« الديمقراطية » و « الليبرالية » انما تعمل فى واقع الامر على القضاء على الدور القيادى للطبقة العاملة وحزبها الشيوعى بهدف الاطاحة بالدعامة الاساسية للنظام الاشتراكى .

والحقيقة أن هذه النشاطات المعادية للثورة قد شجع عليها وجود بعض العناصر اليمينية الاصلاحية داخل الحزب الشيوعى . ولقد كانت قيادات هذه العناصر اليمينية على علاقة وثيقة بالقوى المعادية للثورة .

ولقد نجحوا بالفعل فى التأثير على قسم من الشعب وخدعوه بشعاراتهم الاشتراكية الزائفةوبديماجوجيتهم القومية ، والحقيقة أنه حتى فى صفوف الشيوعيين توجد بعض العناصر التى تفتقر الى الوعى والايمان الطبقى الراسخ . وللاسف فان أعضاء الحزب الشيوعى التشيكوسلوفاكى قد تهاونوا كثيرا تجاه الاعمال

الخطيرة التى ارتكبتها عناصر الثورة المضادة والعناصر اليمينية وتجاه تكتيكاتها وأساليبها فى العمل وأهدافها الحقيقية . ولم يدركوا أن عناصر الثورة المضادة فى جمهورية تشيكوسلوفاكيا يتحالفون ويستندون استنادا مباشرا فى كل تحركاتهم الى الرجعية الامبريالية العالمية والى القوى المناهضة الشيوعية فى العالم .

ان اضعاف الدور القيادى للحزب الشيوعى يؤدى بالضرورة الى اضعاف الدور القيادى للطبقة العاملة وللدولة الاشتراكية التى تأسست بهدف الدفاع عن مصالح الطبقة العاملة وكل الشعب وعن مكتسباتهم الاشتراكية ولتتصدى منذ الوهلة الاولى لأى تحرك ولو طفيف من جانب القوى المعادية للثورة المستندة الى الامبريالية العالمية .

ولقد استفادت العناصر المعادية للاشتراكية من الاوضاع التى كانت سائدة فى تشيكوسلوفاكيا واستطاعت أن تسيطر على أجهزة الاعلام وأن تعزلها عن نفوذ الحزب الشيوعى التشيكوسلوفاكى وأن تستخدمها ضد الحزب وضد الشعب وضد البلدان الشقيقة .

وفوق ذلك فان الاصلاحيين والانتهازيين اليمينيين سعوا الى تقويض النشاط الايديولوجى والنظرى للحزب الشيوعى التشيكوسلوفاكى ، وسارعت القوى المعادية للثورة على الفور للاستفادة من هذا الوضع وشنت هجوما عنيفا على الماركسية اللينينية وعلى النظام الاشتراكى محاولة أن تفرض الايديولوجية البرجوازية بدلا من النظرية الشيوعية وأن تبذر فى عقول الجماهير بذور الشك فى الاشتراكية .

وكان هذا ــ فى المدى الطويل ــ يمثل تهديدا خطيرا للمكتسبات الاشتراكية للشعب التشيكوسلوفاكى .

وبعد دراسة مستفيضة للوضع الذى كان يهدد بمخاطر جمة قرر الاتحاد السوفيتى والدول الاشتراكية الاخرى وضع قرارات اجتماع براتسلافا موضع التطبيق ، ووافقت هذه الدول على تقديم عون عاجل للشعب التشيكوسلوفاكى الشقيق ، بما فى ذلك تقديم عون عسكرى .

لقد شعرت الاحزاب الماركسية اللينينية فى البلدان الاشتراكية وشعوب هذه البلدان جميعا ، شعرت بأن ثمة واجبا جماعيايتعين عليها القيام به وهو أن تعمل معا لحماية حرية واستقلال أى بلد شقيق وحرية واستقلال كل المعسكر الاشتراكى ، شعرت بواجبها الاممى تجاه التشيك والسلوفاك ، بواجبها تجاه كل الشعوب الشقيقة ، وكل الحركة الشيوعية والعمالية العالمية وحركة التحرر الوطنى فى العالم أجمع ، شعرت بواجبها تجاه الاجيال الحاضرة والاجيال المستقبلة من المناضلين دفاعا عن الاشتراكية والشيوعية.

لقد أكد لينين أن الدفاع عن المكتسبات الاشتراكية هو الواجب الاممى الاول الملقى على عاتق عمال البلدان التى تبنى الاشتراكية ، بل وكل الحركة البروليتارية فى العالم . لقد علمنا لينين أن ندافع عن المصالح القومية والاممية معا خلال عملية بناء الاشتراكية .. أن ندافع عنهما كواجبين متلازمين لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر ، وأدان لينين أية محاولة لوضع واحد منهما فى مواجهة الآخر . ولم يغفر مطلقا خطأ هؤلاء الذين حاولوا أن يغلقوا على الاشتراكية « حدودهم القومية » و « أن يتخلوا عن بقية العالم » .

وقد أدان لينين الموقف الذى يتخذه هؤلاء الذين يفتقرون الى الاحساس بالاممية الاشتراكية ووصفهم بأنهم مجرد عملاء للاخلاقيات البرجوازية يخونون الثورة الاشتراكية العالمية لحساب مصالح قومية ضيقة .

ونحن نعرف جيدا كيف أن لينين قد أعرب عن اهتمامه البالغ بالمساندة الاخوية التى قدمتها بروليتاريا العالم للشعب العامل فى روسيا خلال عملية الدفاع عن ثورة أكتوبر من المتدخلين الاجانب والحرس الابيض فى أعوام ١٩١٨ — ١٩٢١ . وأوضح لينين كيف أن هذه المساندة هى اعلان واضح للتضامن بين الطبقة العاملة العالمية واعلان عن الولاء لمبادىء وأهداف الاممية البروليتارية .

ولقد كتب لينين كثيرا عن الدور الاممى الذى يتعين على الطبقة العاملةالسوفيتية القيام به وأبرز القضايا الاساسية المتعلقة بتوعية الجماهير بالروح الاممية البروليتارية وفقا للسياسة الاممية للحزب الشيوعى .

ومع قيام المعسكر الاشتراكى العالمى ، واجهت الاحزاب الماركسية اللينينيــة مهمة خطيرة هى مجابهة القوى المسلحة الموحدة للامبريالية بالقوى المسلحة الموحدة للاشتراكية . ولقد تقدمت الاحزاب الشقيقة لقيام بهذا الواجب ايمانا منها بالتعاليم اللينينية . انهم جميعا يهتدون بالنداء الذى أصدره لينين فى عام ١٩٢٠ أثناء الحرب الاهلية مؤكدا أهمية قيام تحالف عسكرى بين قوى الشعب السوفيتى ، تحالف يدعمه حزب لينين . وقد جاء فى هذا النداء « اننا نحن الذين نواجه قوى ضخمة تحشدها ضدنا الامبريالية ، اننا نحن الذين نناضل ضد الامبريالية نشكل تحالفا يتطلب وحدة عسكرية وثيقة ، ونحن لن نسمح مطلقا بأى انتهاك لهذه الوحدة ، ونعتبره خيانة النضال ضد الامبريالية العالمية .. اننا ننادى بأن الوحدة المسلحة لقوانا جميعا هى مسألة حتمية ، وأى انحراف عن هذه الوحدة هو مسألة لايمكن السكوت عليها ».

ولقد وجدت هذه الكلمات تجسيدها المادى فى معاهدة وارسو التى عقدت بين الدول الاشتراكية الشقيقة ، والتى تمثل حصنا منيعا ضد المعتدين الامبرياليين وعنصرا هاما فى ضمان ســلام أوربا وأمن العالم .

ويواصل الرجعيون الامبرياليون محاولاتهم لبذل كل جهد ممكن لاضعاف التحالف العسكرى بين البلدان الاشتراكية . وقد ساندهم فى محاولاتهم هذه كل أعداء الثورة وأعداء الاشتراكية فى تشيكوسلوفاكيا . لقد بذلت هذه العناصر محاولات مفضوحة وعلنية لتحطيم معاهدة وارسو . لقد وضع أعداء الشعب التشيكوسلوفاكى مخططاتهم على أساس المطالبة بحياد تشيكوسلوفاكيا وانسحابها من منظمة اتفاقية وارسو .

فماذا يعنى ذلك كله ؟

ان هؤلاء الذين يسعون للعمل ضد الوحدة الاممية للبلدان الاشتراكية ، انما يعملون لضرب المكتسبات الاشتراكية وزيادة مخاطر العدوان الامبريالى ضد البلدان الشقيقة .

ان هؤلاء الذين يسعون الى تحطيم المقدرة الدفاعية لمجموعة الدول الاشتراكية ككل انما يسعون بنفس الدرجة لاضعاف المقدرة الدفاعية لبلدهم .

ومنذ سنوات عديدة كان لينين يقول « ان هؤلاء الذين يستخفون بأهمية تنظيم الدفاع عن البلد الذى انتصرت فيه البروليتاريا هم هؤلاء الذين يدمرون الروابط مع الاممية الاشتراكية » .

ان الدول الاعضاء فى معاهدة وارسو قد أوضحت بجلاء فى جميع الوثائق والبيانات الصادرة عنها أن الدفاع عن الاشتراكية فى كل بلد من بلدان المجموعة الاشتراكية وفى البلدان الشقيقة هو واجبها الاممى الاساسى . وهذا هو بالفعل موقف ثورى حق ، موقف ماركسى لينينى يتمشى مع مصالح الاممية الاشتراكية والتقدم الاجتماعى فى العالم كله .

ان البيان الصادر عن المفاوضات السوفيتية ـ التشيكوسلوفاكية والتى جرت فى أغسطس ١٩٦٨ فى موسكو يعلن أن الاتحاد السوفيتى وتشيكوسلوفاكيا سوف يظلان ـ كما كانا من قبل ـ صفا واحدا ضد القوى العسكرية والانتقامية والنازية الجديدة التى تسعى الى تغيير نتائج الحرب العالمية الثانية وانتهاك الحدود الاوربية القائمة الآن .

ولقد أكدت الدولتان الشقيقتان مرة أخرى تصميمها على دعم القوى الدفاعية للمجموعة الاشتراكية وعلى زيادة فعالية معاهدة وارسو .

لقد أكد لينين تأكيدا قاطعا ان الطبقة العاملة فى الجمهورية السوفيتية سوف « تساعد الحركات الثورية الشقيقة لبروليتاريا كل البلدان .. سوف تساعدها بأقصى ما تستطيع من قوة وبكل الوسائل التى فى استطاعتها » .

ولقد ظل الشعب السوفيتى مخلصا دوما لهذه التعاليم اللينينية . فهو يقدم ـ مستندا الى قواه الاقتصادية والعسكرية ـ كل المساعدات اللازمة للشعب الفيتنامى الذى يشن حربا عادلة ضد المعتدين الأمريكيين وللشعوب العربية التى تعرضت لعدوان العسكريين الاسرائيليين ، ويساند كل هؤلاء الذين يناضلون من اجل السلام والديمقراطية والتحرر الوطنى والاشتراكية .

ان المساعدة التى قدمتها الدول الخمس الشقيقة المتحالفة

للشعب التشيكوسلوفاكى هى جزء لا يتجزأ من النضـــال الذى تخوضه الاشتراكية لتحسين مواقعها .

وهكذا فان الشعب السوفيتى ينهج على نهج التعاليم اللينينية ى ظل قيادة الحزب الشيوعى ، وهو مصمم على أن يضع التعاليم اللينينية موضع التطبيق العملى ، اخلاصا منه لواجبــه الاممى . ؤلسوف يواصل الشعب السوفيتى بناءه للشيوعية ، ويواصل دعم قدراته السياسية والاقتصـــــادية والدفاعية .. وحماية مكتسبات الاشتراكية العالمية .

آراء لينين حول تنظيم المؤخرة

لقد اهتم لينين اهتماما كبيرا بالدور الذى يمكن ان تلعبه المؤخرة فى الحروب الحديثة وبمبادىء تنظيم مؤخرة مستقرة ومتماسكة خلف الجيش الاحمر خلال فترة التـــدخل الاجنبى المسلح والحرب الاهلية فى روسيا .

وبينمـــا كان لينين يطور الأفــكار الماركســـية حول الحرب والجيش ، أكد بشكل قاطع الدور الحاسم الذى تلعبه المؤخرة فى الحروب الحديثة وأشار الى أفكار انجلز حول التأثير الحاسم للعناصر الاجتماعية والاقتصادية فى مجرى الحرب .

وسوف نحاول هنا أن نقدم الخطوط العريضة للجهود التى بذلها لينين فى مجال الانتاج وفى مجال تسليح الجيش الأحمر خلال عام ١٩١٨ .

وخلال عملية تشكيل جيش أحمر نظامى يعتمد على التسليح الشامل للجماهير برزت مشكلة أساسية هى ضـــمان امدادات مستمرة من الأسلحة والذخائر والملابس والتموين لهذا الجيش وذلك فى وقت سادت فيه الفوضى الاقتصادية وامتدت آثارها الى الصناعة والزراعة والنقل .. وفى وقت كان العدو فيه يسيطر على أكثر المناطق انتاجا للمواد الخام والوقود والمواد الغذائية وقد أدى ذلك الى تعقيد المشكلة تعقيداً بالغاً .

لكن الروح المعنوية العالية لدى أفراد الجيش الاحمر جعلتهم يمتازون على جيوش الامبرياليين والحرس الأبيض الجيدة التسليح والتموين . ولم يكن لينين يتصور وهو يركز اهتمامه على الروح المعنوية للجبهة والمؤخرة ان هذا هو العنصر الوحيد الذى يكفل

قوة الجيش الأحمر . لقد أكد لينين ان الحماس وحده ، وان الروح المعنوية وحدها ليست كافية مطلقا لهزيمة عدو جيـــد التسليح . وقد أوضح لينين ان الانتصار فى الحرب الحديثة يعتمد الى حد كبير على تسليح الجيش تسليحا كافيا ومناسبا . ان التفوق العددى وحده لا يمكنه أن يكسب حربا حديثة ، وكذلك فان الأفكار التقدمية والمشاعر الجياشة لا يمكنها وحدها ان تحقق النصر هى أيضا . ان الاعتماد الأساسى فى هذا التغلب على القوى البشرية والموارد المادية للعدو انمـا يرتكز على التزود بالأسـلحة الكافية وبغيرها من التجهيزات اللازمة للحرب . وفى النهاية فان قوة السلاح هى التى تحسم مقدرة أى جيش . ان الطريق الوحيد للنصر هو ان تهزم العدو . وأى نقص فى السلاح يمكن ان يؤدى الى الهزيمة .

وعندما كان لينين يتحدث عن أن المؤخرة المستقرة هى شرط ضرورى للنصر فقد كان يضع فى اعتباره مجموعة من الاعتبارات المعقدة مثل طبيعة النظام الاجتماعى للدولة ، أسـلوب التنظيم السياسى الاقتصادى للمجتمع ، الروح المعنوية للجماهير ومدى تلاحمها ، الايديولوجية ، العلم والمقدرة على ادارة كافة أجهزة الدولة بكفاءة . وقد أوضح لينين أنه الى جانب ضرورة كفالة مستوى متقدم من الانتاج المادى ومصادر اقتصادية أكثر وفرة ، فانه يتعين أيضا أن تكون الدولة قادرة على تعبئة امكانياتها بسرعة، وان تستخدم هذه الامكانيات بكفاءة تمكنها من مساندة قواتها المسلحة بصورة قادرة على أن تكفل لها النصر فى حرب حديثة . وكلما كان النظام الاجتماعى متقدما ، وكلما توافرت فيه شروط أفضـل لتطوير القوى الانتاجية ، تزايدت فرصة احراز النصر .

وقد كتب لينين قبيل انتصار ثورة أكتوبر تحت عنوان « هل يستطيع البلاشفة الاحتفاظ بسلطة الدولة » يقول ان الطريق نحو بناء دفاع قوى عن الوطن ومؤخرة تسند الجيش هو الاسراع بعملية البناء الاشتراكى فى البلاد . وقد أوضح لينين ان البلد الذى يطيح بحكم الرأسمالية ، ويمنح الفلاحين الأرض ، ويمكن العمال من ادارة البنوك والمصانع ، ثم تحويل هذه البنوك والمصانع الى ملكية للدولة ، مثل هذه الدولة يمكنها أن تحوز قوى دفاعية أضعاف اضعاف الدولة الرأسمالية .

وكان لينين يرى ان النظام الاشتراكى المتقدم هو مصدر صمود وتماسك المؤخرة السوفيتية فى المعارك ضد الامبريالية . وقد كان لينين على حق فى ذلك . فان تأسيس وتدعيم الدولة السوفيتية قد منحها امكانيات لا حصر لها لتنظيم مؤخرة راسخة . وهذه الامكانيات تنبع من الاجراءات التى تتخذها هذه الدولة مثل تأميم الصناعات الأساسية ، والأرض ، ووسائل النقل ، واحتكارات التجارة الخارجية ، واستئصال الأسلوب الاقطاعى واعادة الأرض الى الفلاحين . وباختصار فانها تنبع من الاجراءات التى تجعل من كل الثروات الطبيعية ووسائل الانتاج الرئيسية ملكية عامة للشعب كله .

ولقد كانت الاصلاحات الاقتصادية الثورية ضرورية وحاسمة فى بناء مؤخرة راسخة . فقد أعيد بناء الاقتصاد على أسس جديدة تماما لا علاقة لها مطلقا بالأسس القديمة . وقد أكد لينين أنه بدون ذلك لما استطاعت الجمهورية ان تصمد ولو لوقت قصير من الزمن .

ولقد قام الحزب الشيوعى بمعظم الاصلاحات الاشتراكية ليتغلب على الصعاب الاقتصادية ولضمان وجود مؤخرة راسخة وقد ساندته فى ذلك الطبقة العاملة الثورية والفلاحون الفقراء . وقد تحدث لينين بصراحة عن المصاعب الجمة والحرمان الشديد الذى ستتعرض له الجمهورية السوفيتية ، وذلك انها قد عزلت عن أغنى وأكثر مناطق البلاد أهمية من الناحية الاقتصادية . فالمناطق التى كان يحتلها المتدخلون والحرس الأبيض فى خريف عام ١٩١٨ كانت تنتج قبل الحرب ٨٥٪ من انتاج روسيا من الحديد و ٩٠٪ من الفحم وتقريبا كل انتاجها من البترول والقطن والسكر وأنواع كثيرة من الحبوب . وقد كان فى روسيا ٥ر٤٠٢ مصنع كانت تقوم قبل الثورة بانتاج الذخيرة ومن بين هذه المصانع كان هناك ٣٥٠٠ مصنع فى المناطق التى يحتلها العدو . كذلك فان المراكز الرئيسية لانتاج المعادن فى الاورال والجنوب كانت هى أيضا فى أيدى الاعداء فى النصف الاخير من عام ١٩١٨ . ولم يكن فى يد الدولة السوفيتية سوى المنطقة الوسطى من البلاد وهى منطقة لم تنتج فى عام ١٩١٨ الا ٢ر٣ مليون بود من الحديد

الخام (البود يزيد قليلا عن ١٦ كيلو جراما) ، و ٢ر٧ مليون بود من الحديد المشكل . ووفقا للاحصاء الصناعى الذى جرى فى ٣١ أغسطس ١٩١٨ فان ٣٨٪ من المؤسسات كانت معطلة عن العمل بسبب نقص المواد الخام والوقود . كذلك فان الخسائر التى سببتها الحرب الامبريالية ، وتعبئة العمال فى صفوف الجيش الأحمر ، ومشاركتهم فى فرق جمع المحاصيل ، كل ذلك أدى الى نقص حاد فى العمال المهرة .

كذلك فان الحصار الاقتصادى قد ضاعف من خطورة الموقف خاصة وان المصانع الروسية كانت تعتمد الى حد كبير على استيراد الآلات والفحم والسلع الأولية وكثير من المواد الاستراتيجية من الخارج . وقد أدى الى مضاعفة سوء الوضع ذلك التوزيع العشوائى وغير المخطط للصناعة فى البلاد ، وهى تركة موروثة من النظام القديم ، ذلك ان معظم المراكز الانتاجية الهامة ومؤسسات الصناعة الثقيلة والخفيفة كانت مركزة فى المنطقة الوسطى من البلاد وبتروجراد .. وهى أماكن بعيدة عن مصادر المواد الخام .. وفى مطلع عام ١٩١٨ توقفت مصانع كثيرة عن العمل فى الانتاج الحربى وحولت الى انتاج آلات زراعية وانتاج سلع أخرى يمكن مبادلتها مع الحبوب ، وحولت كذلك لاصلاح خطوط السكة الحديد . وقد أسهم لينين شخصيا فى صياغة عدد من القرارات التى أصدرها مجلس قومسييرى الشعب والتى كانت تستهدف اعادة بناء الاقتصاد الذى خربته الحرب والتى تحاول ان تخفف الأعباء عن الجماهير التى كانت تعانى معاناة شديدة .

وكان النداء المعنون « الى كل عمال روسيا » والذى صاغه لينين ووافق عليه مجلس قومسييرى الشعب وأصدره فى ٩ ديسمبر ١٩١٧ يعلن انه اذا ما أمكن توقيع اتفاقية للهدنة مع الدول الأوربية الكبرى ، هذه الهدنة التى يمكن ان تتطور فى المستقبل الى سلام قائم على أسس ديمقراطية وشامل لكل شعوب أوربا ، فى هذه الحالة فان الحكومة السوفيتية ستعتبر ان انتاج الأسلحة والتجهيزات العسكرية « اهدار كامل لجهود الشعب وثرواته » .

وهذه القرارات التى تنبع من السياسة المحبة للسلام التى تمسكت بها الحكومة السوفيتية تفند الأكاذيب التى يروجها

المؤرخون البرجوازيون والتى يتهمون فيها لينين والبلاشفة بانهم هم الذين اشـعلوا نيران الحرب الأهليـة بعد ثورة أكتـوبر . ويستطيع الانســان ان يرى فى مثل هذه القرارات ان الحكومة السوفيتية كانت منذ البداية مهتمة أشد الاهتمام بالتطوير السلمى للاقتصاد .

ويتضح هذا بجلاء من خطة التطوير الاشتراكى للاقتصاد التى وضعها لينين ووافقت عليها اللجنة التنفيذية المركزية لكل الاتحاد السوفيتى فى ابريل ١٩١٨ .

وعلى أية حال فان الدولة السوفيتية قد بادرت بوضع خطط خلاقة لصد الأعداء الطبقيين الذين كانوا يستهدفون تحطيم الدولة السوفيتية الوليدة . لقد شن الامبرياليون هجومهم فى ربيع عام ١٩١٨ وفى صيف العام نفسه بدأت الأعمــال العسكرية للقوى الأساسية من الثورة المضادة .. الأمر الذى دفع العمال الى النهوض لحماية المكتسبات الاشتراكية لتنفيذ واجبات الدفاع ولمضاعفة انتاج الذخائر للجيش الأحمر .

وتحت اشراف لينين وتوجيهاته المباشرة وضع برنامج للدفاع الوطنى يستهدف تشكيل وتسليح جيش نظامى جماهيرى .

وفى عام ١٩١٨ تمكن الحزب الشيوعى والحكومة السوفيتية من حل مشكلة تسليح وتموين الجيش الأحمر وذلك بفضل :

أولا : بعض الابتكارات الهامة ، تجميع واستخدام الأسلحة والعتاد الحربى من مخلفات الجيش القديم .

ثانيا : تحسين واعادة تنظيم عملية انتاج الذخيرة .

وفى ١٨ مايو ١٩١٨ أصدر مجلس قومسييرى الشعب قرارا بالاستيلاء على مستودعات الأسلحة وخول مكتب الحرب سلطة التصرف فى هذه الأسلحة وتجميع الأسلحة من مختلف الأقاليم . وفى ١٠ يوليو ١٩١٨ كان السوفييت يملكون ٣ر١ مليـون بندقية و ...ر١٠ مدفع رشاش ، ٨٠٠ مليون طلقة . لكن هذه الكميات سرعان ما تلاشت عندما تصاعد القتال فى الجبهة الشرقية واستلزم الأمر تشكيل وحدات جديدة .

وفى ظرف كهذا كان من الضرورى زيادة انتاج الذخيرة بأسرع ما يمكن . وبعد أغسطس ١٩١٨ بدأ تدريجيا تحويل الصناعات المؤممة للعمل فى المجهود الحربى . وأعلنت حالة الطوارىء العسكرية فى مصانع الذخيرة . والحقيقة ان صعوبات كثيرة قد اعترضت عملية اعادة التنظيم لانتاج الذخيرة . فمعظم مصانع الذخيرة كانت فى ايدى المتدخلين والحرس الأبيض . وبعض مصانع الذخيرة ـ وخاصة مصانع بتروجراد ـ كانت قد نقلت الى منطقة الفولجا والأورال . ولم يبق سوى مصنع صغير للاسلحة فى تولا ومصنع الذخيرة فى تولا أيضا . لكن انتاج هذين المصنعين قد تزايد الى درجة انه قد حقق فى يونيو ـ أغسطس انتاجا يزيد بنسبة ٢٤ ـ ٢٨٪ عن أقصى انتاج وصل اليه فى عام ١٩١٦ .

ونظرا لصعوبة هذه الواجبات والالحاح الشديد على انجازها بسرعة فقد كون مجلس قومسييرى الشعب فى ١٦ أغسطس ١٩١٨ لجنة خاصة متفرعة عن مجلس الاقتصاد القومى من ممثلين عن المجلس وعن مكتب الحرب والنقابات لتشرف على عملية انتاج الذخيرة . وكانت تعليمات هذه اللجنة ملزمة لكافة الموظفين والافراد . وكانت تعد تقارير أسبوعية ترفعها الى مجلس قومسييرى الشعب .

وفى خريف ١٩١٨ اتسعت رقعة المناطق التى اشتعل فيها القتال وتعين على الحكومة ان تزيد من انتاج الذخيرة . وفى ٢ نوفمبر ١٩١٨ أصدر مجلس قومسييرى الشعب قرارا بعنوان « اجراءات حول تحسين عملية تزويد الجيش الأحمر بالذخيرة » ويتضمن هذا القرار تكليف عدد من المصانع التى كانت تعمل فى مجال الانتاج المدنى بانتاج الذخيرة للجيش . وفوق ذلك فقد زادت اختصاصات وسلطات اللجنة الخاصة للذخيرة وأصبحت مسئولة عن جميع عمليات الامدادات الخاصة بالجيش . كذلك ضمت هذه اللجنة عناصر جديدة منها ممثلون عن اللجنة التنفيذية المركزية والاتحاد العام المركزى لنقابات العمال وقومسيير الشعب لشئون الحرب .

وقد خولت هذه اللجنة سلطة تحويل المصانع من الانتاج المدنى الى الانتاج الحربى وخولت كذلك سلطة تحويل دكاكين الحرفيين الى الانتاج الحربى . كذلك تولت اللجنة مسئولية الاشراف على تجميع وتسجيل وتخزين وتوزيع الذخيرة وكانت تعليماتها فى هذا الصدد ملزمة لأية هيئة أو جهاز رسمى ، كذلك خولت هذه اللجنة حق احالة الأشخاص الذين يعارضون تنفيذ قراراتها أو يضعون العقبات أمامها الى المحكمة الثورية .

ولقد بذلت هذه اللجنة جهدا كبيرا فى تنظيم الصناعات الحربية وفى التنسيق بين جهود المؤسسات المختلفة التى تعمل فى مجال الانتاج الحربى وفى العمل على اقامة نظام مركزى لامداد وتموين الجيش الأحمر .

وفى ٣٠ نوفمبر ١٩١٨ تكون مجلس الدفاع تحت قيادة لينين . وكان هذا المجلس يتولى الى جانب الاهتمام بالمسائل الاستراتيجية الهامة ، الاشراف على عمليات الانتاج الصناعى الخاصة بالدفاع . وقد ركز المجلس جهوده على تعبئة الطاقات الصناعية ، وزيادة انتاج صناعة الذخيرة والصناعات الحربية الأخرى ، والعمل على مد هذه الصناعات بالمواد الخام التى تحتاجها وان يشرف على توزيع الموارد المختلفة وفقا لمتطلبات الحرب .

وقد أورد لينين ملاحظة تقول أنه لم يعقد أى اجتماع لمجلس قوميسييرى الشعب أو مجلس الدفاع دون أن تناقش فيه مسألة الاحتياطى المتبقى من الفحم والبترول .

لكن ما هى المسائل الأكثر أهمية التى ركز عليها مجلس الدفاع اهتماماته بهدف ضمان قيام مؤسسة عسكرية ذات كفاءة عالية ؟

لقد اهتم هذا المجلس أولا وقبل كل شىء بتدعيم سلطة الشعب فى مجال الاقتصاد الوطنى . لقد كانت الظروف تتطلب أقصى مركزية ممكنة فى ادارة الصناعة وفى توزيع المواد الخام وفى توزيع المنتجات .

وفى ٨ ديسمبر ١٩١٨ أصدر مجلس الدفاع قرارا بعنوان « حول الاسراع والتدقيق فى تنفيذ أوامر الحكومة المركزية وازالة كافة العوائق أمامها » وقد جاء فى هذا القرار « ان الغزو الجديد الذى تقوم به الامبريالية العالمية ، الى الحد الذى أصبحت فيه روسيا معسكرا حربيا ، هذا الغزو يفرض علينا واجبات جديدة ويتطلب حشد كل الجهود . يجب أن تحشد كل طاقات الجمهورية السوفيتية حشدا كاملا ، يجب أن تمركز كافة العمليات ، يجب ان تكفل التنفيذ السريع والدقيق للتعليمات ، يجب ان تطور أعمال الجهاز الادارى السوفيتى بهدف رفع المقدرة الدفاعية الى المستوى المطلوب . وبدون ذلك فان مسألة الانتصار على الامبريالية لا يمكن مناقشتها » .

لقد ألغى القرار الصادر عن مجلس الدفاع كافة القرارات والتعليمات المحلية التى كانت تعوق أو تعطل تنفيذ القوانين والقرارات والتعليمات الصادرة عن السلطة المركزية .

ولقد بذل لينين ومجلس الدفاع جهودا كبيرة من أجل ضمان أكبر اقتصاد ممكن فى استخدام الموارد القومية .

ان هذه القواعد الصارمة مضافا اليها عمليات التنظيم والتطوير فى مجال الاقتصاد الحربى قد أدت الى حشد أقصى القوى الممكنة وتجميع كافة الجهود واستخدامها استخداما صحيحا .

لقد قام مجلس الدفاع بتقسيم المؤسسات الكبرى الى مؤسسات هامة وأخرى أكثر أهمية ورتب الأولويات اللازمة فى توزيع المواد الخام والوقود والمواد الغذائية والقوى العاملة والاخصائيين وتسهيلات النقل .

وثمة مسألة أخرى ذات أهمية كبرى وهى مسألة تحسين انتاجية العمل فى مصانع الذخيرة وغيرها من المصانع .

وقد قال لينين انه من أجل تحسين انتاجية العمل يجب علينا أولا وقبل كل شىء ان نحسن من نظام العمل وان نحدد كميات الزامية للانتاج وان ندفع أجورا اضافية للعمال الذين ينتجون

كميات تفوق المعدل المطلوب . وأن نزود المصانع بآلات أفضـــل ، وان نكفل للعمال مزيدا من المواد الغذائية وان نقدم لهم مســـاكن أفضل ، وان نحشد الشيوعيين والعمال الأكثر مهارة والاخصائيين للعمل فى المصانع الرئيسية للذخيرة .. وهكذا .. وقد أدى تطبيق هذه القواعد الى زيادة الانتاج بالنسبة للسلع الأكثر أهمية .

ولكى يمكن توفير مزيد من الموارد الاقتصادية لتغطية احتياجات الحرب ، فقد طالب لينين الجيش الاحمر بأن يعمل على تحرير المناطق ذات الأهمية الاقتصادية بأسرع ما يمكن . وفى نهاية ١٩١٨ عندما استطاع الجيش الأحمر ان يحرر منطقة الفولجا الوسطى وشمال أوكرانيا وبعض نواحى الدانوب دعا لينين الى الاسراع باعادة أحياء الصناعة فى هذه المناطق والعمل على استغلال مواردها حتى يمكن للجيش الأحمر أن يواصل هجماته .

وفى بداية ١٩١٩ استطاعت الصناعة الحربية السوفيتية بعد ان تمكنت من استخدام المخزون من المنتجات والأسلحة النصف مصنوعة ومن اصلاح بعض الأسلحة المعطلة .. استطاعت ان تنتج شهريا كمية تتراوح بين ٩٠ — ١٠٠ ألف بندقية ، ٥٠٠ — ٦٠٠ مدفع رشـــاش ، ٤٠ — ٥٠ مدفعا ، وأكثر من ٣٥ مليـــون طلقة بندقية . بينما قام أكثر من ثلاثمائة مصنع بانتاج حاجات الجيش من الأحذية والملابس وغيرها . لكن ذلك كله لم يكن كافيا لسد الاحتياجات الاستراتيجية للجيش ولهذا فقد تطورت الصـــناعة الحربية بسرعة كى تتيح الفرصة لزيادة أفراد الجيش ولتســـد الاحتياجات المتزايدة للقوات المحاربة فى الجبهـــة . وكانت زيادة انتاج المدافع الرشاشة والبنادق والمدافع والطلقات لا تزال تمثل واجبا رئيسيا .

وفى ظل هذا الوضع ، حدد لينين أولويات توزيع الأسلحة ، فأعطى الأولوية للقوات المحاربة فى الجبهة ثم للوحدات النشيطة فى المؤخرة ثم لقوات الاحتياط . ولقد واصل لينين فى كافة مراحل الحرب الأهلية اعطاء الأولوية للجبهة وقد كفل ذلك النجاح فى المهمة كلها .

وفى صيف عام ١٩١٨ توقع لينين ان الجبهة الشرقية ستكون المنطقة الحاسمة فى المعركة كلها ولهذا فقد وجه نصيحته للمجلس العسكرى الأعلى كى يحول اهتمامه من الحدود الغربية وان يعمل على تنظيم وتسليح الفرق الموجودة فى الشرق . بل لقد قام لينين بنفسه بالاشراف على تزويد الفرق المسافرة الى الشرق أو العاملة فى الشرق باحتياجاتها . لقد قال لينين « لقد انتصرنا لأننا استطعنا ان نحدد بالدقة ما هو الواجب الأكثر الحاحا والأكثر حسما والاكثر ضرورة . وحشدنا لتحقيقه كل جهود العمال .. بل والشعب بأسره » .

وفى خريف عام ١٩١٨ حدد لينين هدفا جديدا وهو زيادة عدد الجيش ليصبح ٣ مليون جندى . وقام المجلس الثورى للحرب بتشكيل فرق جديدة فى داخل البلاد . وتطلب الأمر مزيدا من الذخيرة . وفى ٧ ديسمبر ١٩١٨ أعدت القيادة العليا للجيش الأحمر تقريرا تشكو فيه من نقص الأسلحة والامدادات والملابس اللازمة لعشر فرق تم تكوينها حديثا .

وأخذ لينين مذكرة بكل ما هو مطلوب وفى اليوم التالى مباشرة وجه لينين القرار التالى الى مجلس الدفاع « يجب أن تزود هذه الفرق العشر بالملابس والأسلحة والامدادات وان يرسل اليها أيضا دعاة ثوريون » . وصدرت تعليمات عاجلة الى مكتب الحرب والمجلس الاقتصادى للاتحاد السوفيتى واللجنة الخاصة للامدادات وغيرها من الأجهزة لتوفير المواد اللازمة لزيادة انتاج البنادق والمدافع وغيرها من الامدادات . وخلال شهر ديسمبر خصص مجلس الدفاع خمسة اجتماعات لمناقشة تزويد هذه الفرق العشر بالأسلحة والذخيرة والامدادات والملابس . كذلك قام المجلس باختيار قادة لهذه الفرق وناقش أسلوب ممارسة العمل السياسى بها . وقد قام لينين بنفسه باملاء عدد من القرارات التى صدرت فى هذا الصدد .

ولقد تمكن الحزب والحكومة السوفيتية من سد احتياجات الجيش فى الجبهة بالأسلحة والذخيرة والملابس فى الوقت الذى شن فيه كولتشاك هجومه على الجبهة الشرقية .. وذلك بفضل العمل البطولى للطبقة العاملة ومساهمة الفلاحين الفقراء الجادة .

ولقد كان لينين على رأس هذه الجهود التى بذلها الحزب والحكومة فى تنظيم الدفاع عن الجمهورية السوفيتية وفى بناء الجيش الاحمر وفى ضمان تلاحم المؤخرة . وتحت قيادته أصبحت الجمهورية السوفيتية معسكرا مسلحا موحدا ، لقد نظمت المؤخرة لتخدم الجبهة . ووضعت كل اقتصاديات البلاد ووسائل النقل وكل الأجهزة والمنظمات فى خدمة العمل العسكرى وقد تم ذلك كله فى أقصر فترة ممكنة . لقد وحد الحزب جهود الجبهة مع المؤخرة تحت شعار لينين « كل شىء من أجل الجبهة ، كل شىء من أجل النصر » .

وقد كتب س.س كامينيف القائد العام للقوات السوفيتية المسلحة خلال الفترة ١٩١٩ ـ ١٩٢٤ عن الأسلوب الثورى والجديد للحرب الذى أبدعه لينين فقال :

« لقد كان ذلك شيئا جديدا تماما فى الفكر العسكرى ان يطلب المرء اخضاع **كافة نواحى الحياة للأمة كلها لمتطلبات الحرب** . وان يوضح بجلاء الفرق بين مهام الجبهة ومهام المؤخرة ولقد كانت هذه الأفكار ـ اذا صح التعبير ـ الركيزة الأساسية لعملية تنظيم القتال ، وقد كان وضع هذه الافكار موضع التطبيق علما جديدا فى فنون الحرب » . وفيما بعد كتب س.س كامينييف يقول ان قيادة لينين للحرب الأهلية كانت علما متكاملا للحرب التى تخوضها أمة بأسرها .

ولقد كانت فكرة لينين حول تحويل البلاد بأسرها الى معسكر موحد للقتال ، وخبراته فى توجيه الدفاع عن البلاد وفى تنظيم اقتصاد الحرب تنظيما دقيقا واهتمامه بمد الجيش الأحمر باحتياجاته باستمرار .. كان ذلك كله خبرة ثمينة استخدمها الحزب والحكومة السوفيتية فيما بعد خلال الحرب العالمية الثانية عندما تعين على البلاد من جديد أن تعلن التعبئة العسكرية .

ولقد قامت « لجنة الدولة للدفاع » التى كانت قد تكونت بدلا من « مجلس العمال والفلاحين للدفاع » بانجاز عملية التعبئة السريعة لكل قوى البلاد واحتياطاتها بهدف هزيمة العدو هزيمة ساحقة .

الطبيعة العالمية لخبرة الحزب الشيوعى السـوفيتى
فى مجال بناء القوات المسلحة البلاد

ان أفكار لينين حول بناء الدفاع عن البلاد والخبرة العسكرية الهائلة للحزب الشيوعى السوفيتى قد أصبحت بمثابة تراث بالغ الاهمية بالنسبة لكل الاحزاب الماركسية اللينينية الشقيقة وكل القوى التقدمية التى تسعى لاعادة تنظيم العالم على أسس ثورية .. وتتمشى هذه النتيجة مع فكرة لينين عن المغزى العالمى لثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى والطبيعة العالمية لخبـــرة الحـــزب البلشفى .

وقد أوضح لينين فى كتابه « الشيوعية اليسارية عبث أطفال» أن الملامح الاساسية للثورة الروسية ، والملامح الرئيسية لسياسة وتكتيكات البلاشفة سوف تكرر نفسها حتما فى كل البلدان فى فترة الثورة البروليتارية وخلال عملية التحول من الرأســمالية الى الاشتراكية . وقد أدان لينين بشدة الانتهازيين اليســاريين الذين ينكرون على ثورة اكتوبر الاشتراكية مغزاها العالمى .. وقال لينين « اننا نمتلك الان خبرة عالمية ذات قيمة ، وهى توضح لنا بشكل حاسم أن بعض الملامح الاساسية لثورتنا ذات مغزى ليس محليا أو قوميا أو روسيا فقط .. لكنها ذات مغـزى عالمى .. مغزى عالمى بمعنى أنها ذات أهمية عالميـــة ، وبمعنى الحتميـــة التاريخية لتكرارها على النطاق العالمى »

وقد أكد لينين أن النموذج الروسى قـد قدم للبلدان الاخـرى شيئا ما ـ شيئا ذا قيمة كبيرة ـ شيئا يمس حياتهم الراهنـة وليس مجرد مستقبلهم البعيد .

وتثبت صحة أفكار لينين حول الملامح المشــتركة والقوانين الموضوعية لعملية تحول البلدان المختلفـة من الرأســمالية الى

الاشتراكية من خلال استقراء كل تاريخ التطور اللاحق للحركة العمالية والشيوعية العالمية .

وتعلمنا الماركسية اللينينية أن القوانين العامة للثورة الاشتراكية ولبناء الاشتراكية تعبر عنها فى أشكال متعددة بل وشديدة التعدد ، وذلك وفقا للظروف التاريخية المحددة التى تحكم فترة التحول من الرأسمالية الى الاشتراكية .

وقد حذر لينين شيوعيى البلدان الاخرى من النقل ميكانيكيا من النموذج الروسى . وقد أكد على ذلك منطلقا من فكرة أن كل الامم سوف تأتى الى الاشتراكية ، فان هذه مسألة حتمية لكنها لن تأتى جميعا من نفس الطريق ، طالما ان كل منها سوف تضيف شيئا من تجربتها الخاصة الى شكل الديمقراطية او الى نوع ديكتاتورية البروليتاريا او الى سرعة ادخال التغيير على مختلف مجالات الحياة الاجتماعية .

ان تاريخ تطور النظام الاشتراكى العالمى قد أكد تأكيدا قاطعا القيمة العظمى لافكار لينين . فان ثورات الديمقراطيات الشعبية كانت نتاجا طبيعيا لثورة اكتوبر الاشتراكية تماما كما تنبأ لينين ، اذ تكررت الملامح العامة لثورة اكتوبر فى مجرى تطور هذه الثورات . وعلى أية حال فان الظروف التاريخية الجديدة والتى نبعت من اختلاف العصر واختلاف التكوين القومى وبناء الدولة قد أدت الى وجود ملامح خاصة للعمل الثورى وللبناء الاشتراكى ولبناء الدفاع فى كل من هذه البلدان .

وقد أشار لينين الى وجود وحدة جدلية بين الملامح المشتركة والقوانين الموضوعية وبين القسمات الخاصة لتطور البلدان المختلفة نحو الاشتراكية . وفى نفس الوقت أكد لينين أن القوانين الموضوعية المشتركة تمثل أهمية قصوى بينما تحتل القسمات الخاصة المرتبة الثانية من الاهمية .

وقد حذرنا لينين وهو يقوم بعملية التمييز الجدلى بين ماهو عام وما هو خاص فى خلال عملية الثورة الاشتراكية وبناء

الاشتراكية ، حذرنا من الخلط بين القسمات الخاصة والعامة وحذرنا كذلك من الفصل بين الخاص والعام ، ذلك ان هذاالموقف سوف يؤدى بصاحبه حتما الى هجرة المبادىء الثورية للماركسية وللاممية البروليتارية . والى الانحياز الى مواقع القومية الشوفينية والمراجعة .

وقد أشار لينين فى نفس الوقت الى أن تجاهل القسمات القومية قد يؤدى الى خطر داهم . ذلك ان محاولة النقل الميكانيكى لاشكال ووسائل مستخدمة فى بعض البلدان ، ومحاولة وضعها موضع التطبيق بغض النظر عن القسمات القومية ، والافتقار الى المرونة السياسية واتخاذ موقف جامد ، كل ذلك يمكنه ان يؤدى الى تهديد نضال الطبقة العاملة من أجل الاشتراكية والشيوعية بخطر داهم .

وفى وقتنا الراهن حيث تقوم بلدان عديدة ببناء الاشتراكية، فان شعب كل بلد قد اكتسب خبراته القومية الخاصة فى هذا الصدد .

ان كل بلد يسير فى الطريق الاشتراكى يقدم شيئا جديدا ومتميزا من خلال الحركة العامة للملايين نحو المجتمع الجديد . وهذا الاختلاف فى الاشكال والوسائل يمثل خبرة جماعية ذات قيمة عظمى واثراء للنظرية الماركسية اللينينية وللتطبيق العملى للتحويل الثورى للمجتمع ولعملية بناء الاشتراكية والشيوعية .

ان القيمة الاساسية لخبرة الحزب الشيوعى السوفيتى تنبع فى الاساس من حقيقة انه خلال عملية ممارسة الثورة الاشتراكية وبناء الاشتراكية والشيوعية فى الاتحاد السوفيتى قد تأكدت صحة بعض القوانين الاساسية لبناء الاشتراكية والشيوعية . وتتأكد هذه القوانين الان أكثر فأكثر من خلال ممارسة الثورة الاشتراكية والبناء الاشتراكى فى البلدان الاشتراكية الاخرى .

ان الخبرة الواسعة والعميقة للحزب الشيوعى السوفيتى فى مجال التنظيم الثورى للمجتمع وفى بناء الدفاع عن الوطن لهى

خبرة ذات اهمية كبرى بالنسبة لكل الحركة الشيوعية والعمالية العالمية .

ان التطبيق الخلاق لهذه الخبرة يمكن الشعوب الاخرى من الوصول الى الاشتراكية والشيوعية بصورة أسرع وبجهود أقل ، وبأقل ما يمكن من الاخطاء والانحرافات عن الطريق الصحيح .

كذلك فان الطبيعة العالمية للخبرة السوفيتية تمتد بشكل مؤكد الى ميدان الخبرة العسكرية .

ان النشاطات العسكرية التى مارستها اللجنة المركزية للحزب السوفيتى تمثل خبرة تاريخية ثمينة وخاصة فيما يتعلق باعادة التنظيم الثورى للمجتمع على أسس الاشتراكية .

وفى وقتنا الراهن تظل مسألة الدفاع عن منجزات الاشتراكية أحد القوانين الموضوعية الاساسية فى تحول أى بلد من الرأسمالية الى الاشتراكية .

واليوم تؤكد الخبرات المكتسبة للبلدان الاشتراكية الاخرى أن التقدم العسكرى يمثل فى عصرنا الراهن عنصرا هاما فى الواجبات المشتركة لبناء الاشتراكية والشيوعية .

ان تحليل النشاطات التى قام بها الحزب الشيوعى السوفيتى فى بناء القوات السوفيتية المسلحة يوضح القسمات الرئيسية للخبرات التى يجب توافرها فى انجاز عملية البناء الاشتراكى .

وحتى فى هذه الحدود فانه يتعين علينا الا ننظر الى الخبرة السوفيتية كشىء ثابت لا يمكن تغييره .. ان هذه الخبرة قد تبلورت من خلال عملية التغيير الجذرى فى الشئون الداخلية والخارجية للامة فى ظل تطور العلم والتطبيق العسكرى .

ان الخبرات السوفيتية المتراكمة فى مجال التطور العسكرى وفى صياغة مبادئه الاساسية قد صيغت من خلال الحروب الظافرة دفاعا عن الوطن الاشتراكى ، والانتصار الساحق الذى احرزته الاشتراكية فى اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية والشروع فى عملية البناء الشامل للشيوعية وتغيير ميزان القوى العالمى لصالح الاشتراكية ، والثورة التى تحققت فى مجال العلم

والتطبيق العسكرى . ومع ذلك فان بعض قسمات هذه الخبرة السوفيتية فى مجال التطور العسكرى قد فقـــدت اهميتها ، والبعض اكتسب معنى جديدا ، بينما بقيت ملامح اخرى محتفظة بجدتها .

أن الملامح المميزة للتطور العسكرى السوفيتى يمكن تلخيصها فى :

* قيادة الحزب الشيوعى لعملية تطوير القوى العســكرية والدفاعية للبلاد .

* تسريح الجيش القديم الذى يمثل جزءا لا يتجزأ من الدولة الرأسمالية والعمل على بناء جيش جديد على نمط اشتراكى .

* بناء القوات المسلحة من خلال المعارك الضارية ضد الثورة المضادة فى الداخل والخارج ومن خلال النضال ضـــد معارضى ايديولوجية الحزب سواء العناصر اليسارية أو العناصر اليمينية الانهزامية .

* تأسيس جيش نظامى على درجة عالية من الانضـــباط والتدريب ، ذى قيادة مركزية .

* النمو المتناسب لاسلحة الجيش الاحمر والخدمات المقدمة له ، مع اعطاء الاولوية فى وقتنا الراهن لكتائب الصواريخ .

* أن تكون القوات المسلحة دائما على أهبة الاستعداد لصد أى عدوان امبريالى .

* أن يتولى قيادة الفرقة شـخص واحد وذلك باعتبـــاره الاسلوب السليم لقيادة الفرق .

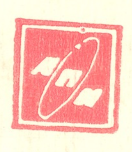
* التلاحم بين الجيش والجماهير ، كأساس لزيادة القدرة العسكرية للدولة الاشتراكية .

* الاممية ـ هى أحد المبادىء الاساسية فى تطور القـــوات المسلحة .

* القوانين الموضوعية العامة لتطور العسكرية الاشتراكية والتى تنعكس فى الخبرة العسكرية للحزب الشيوعى السوفيتى .

الفهرس صفحة


مؤسسة
دار التحرير للطبع والنشر
(مطابع شركة الاعلانات الشرقية)





(مطابع شركة الاعلانات الشرقية)